الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
فرع التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي

دور كُتَامة السياسي والحضاري في مصر الفاطمية (362هـ_567هـ/972م _1171م)

إعداد الطالبات:
وسار صبرينة
نور الدين فتيحة
يسيني مختارية

إشراف الأستاذة:
بورملة عربية

لجنة المناقشة

الأستاذ (ة)	الصفة
د. كوريب عبد الرحمان	رئيسا
أ. بورملة عربية	مشرفا ومقررا
أ. شرقي نورة	عضوا ومناقشا

السنة الجامعية: 1441- 1442 هـ/2020-2021 م

شكر

الحمد لله رب العالمين الذي جعل التوفيق والسداد منحة للمؤمنين والصلاة والسلام على سيد العالمين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته إلى يوم الدين.

نتقد م بأسمى عبارات الشكر وعظيم الإمتنان للأستاذة المشرفة "بورملة عربية" التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها وإرشاداتها منذ البداية إلى غاية إتمام هذا العمل فجزاها الله عنا خير الجزاء

ونتقدم بالشكر الجزيل إلى "أعضاء لجنة المناقشة" الموقرة لمناقشتهم هذه المذكرة.

وكل جزيل الشكر إلى "مكتبة الإحسان"

كما نخص بالشكر الدائم إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

و الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات

اهداء

بسم الله العالي المتعالي أحمده وأشكره لأنه أعانني على إنهاء مشواري الدراسي

أ هد ي عملي هذا إلى أعز ما أملك في الدنيا وقدوتي في الحياة ومن سهرت على تربيتي الفضيلة أمي الغالية "مباركة" أطال الله في عمرها

إلى الإنسان الذي سعى جاهدا على تربيتي وتعليمي و توجيهي والوقوف إلى جانبي أبي الحنون" عبد الرحمان " أطال الله في عمره

إلى عمتي أمي الثانية "سعيدة "حفظها الله وإلى روح عمي المتوفي رحمة الله عليه سليمان .

إلى إخوتي: رضا ورشيد حفظهما الله لي وأخواتي: فاطمة الزهراء، منيرة، سميحة، ليندة حفظهم الله من كل أذى.

وإلى أبناء أختي فرحة الأسرة وبهجتها: فاروق، أسماء، نرجس، إلياس.

ولا أنس صديقات دربي : رحو عوالي ، عياد نصيرة، وزان الزهرة، عبد الله وفاء، نور الدين فتيحة، يسيني مخطارية ، قدوم فضيلة، قومني حنان، قارة ربيعة،حمر العين حنان...

وأخيرا إلى كل من ساعدونا على إتمام هذه المذكرة

إلى كل من يعرف وسار صبرينة (ياقوت)

صبرينة

اهداء

حمدا لمن أبدع الكون وشكرا لمن أودع فيه من عبر وأفعال

وثناء على من علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم و سلاما على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ومن بهديه اهتدى

إلى الذي من القليل ربانا فسهر على تربيتنا فأحسنها فكان دعائه لنا حاميا من كل هم وحزن فأوصلني إلى ما أنا عليه الآن إلى الوالد الكريم "نور الدين محمد"

إلى التي تحت قدميها الجنة، سندي وعمود بيتنا التي نرجوا رضاها في كل حين إلى الوالدة الكريمة "نور الدين فطيمة"

إلى الذين قال الله عز وجل ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ إخوتي "عبد الحق، عمر، سارة"

إلى من تقاسمت معهم مر الحياة وحلوها رفقاء دربي وصحبتي الذين دعموني فكانوا ساحبين لي إلى رضاه عز وجل

إلى الكتاكيت ياسمين، حمودة، منصورة

فتيحة

اهداء

الى الذي تمنيت أن يكون أول من يبارك عملى هذا

إلى الذي تمنيت أن لا يغيب في مثل هذا اليوم

إلى أعز شخص أخذته مني الأقدار

إلى روح والدي الطاهرة الذي وافته المنية وكان خير مثال لرب الأسرة رحمه الله

إلى رمز السبيل والعطاء ونبع الحب والحنان

إلى من سهرت من أجل راحتي ، إلى من تألمت لآلامي وفرحت لفرحي

إلى المرأة التي مهما كتبت عنها وأكتب عنها فلا تكفيني أوراق الدنيا لأكفييها حقها
إلى أمي الحبيبة

الى جميع إخوتي وأخواتي

إلى أصدقائي داخل كلية العلوم الانسانية دفعة 2021

إلى كل عائلة يسيني

اليكم جميعا أهدي هذا العمل

مختارية

قائمة المختصرات:

الاختصار	الكلمة
هـ	هجري
م	ميلادي
ت	توفي
ط	طبعة
ج	جزء
ص	صفحة
تح	تحقيق
مر	مراجعة
مج	مجلد
نش	نشر
تع	تعريب
تر	ترجمة
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة

مقدمـــة

مقدمة:

كانت القبيلة هي أعلى قمة في النظام السياسي والاجتماعي الذي عرفه البربر سكان المغرب الأولون ،ينقسم البربر إلى قسمين القسم الأول يسمى البتر من ولد مادغيس الأبتر بن بربر بن مازيغ جنس افريقي اسمر البشرة، والقسم الثاني يسمى البرانس من نسل برانس بن بر بن مازيغ وأصلهم من سكان البحر الأبيض المتوسط يمتازون ببياض اللون، وتعتبر كتامة من قبائل برانس الكبرى فعلى اكتافها قامت الدولة الفاطمية، حيث مثلت القبيلة المحور السياسي الذي تدور عليه جميع جوانب الحياة السياسية والتطورات الفكرية والإجتماعية ، وتحتوي القبيلة عادة على عدد من البطون تربط بينهم وحدة الدم والنسب.

قد ضم المغرب الإسلامي مجموعة من القبائل التي سكنت مختلف ربوعه، والتي ساهمت في تأسيس الدويلات، كقبيلة كتامة التي كان لها الفضل في تأسيس الدولة الفاطمية، فنجحت في إرساء دعائمها ببلاد المغرب، فضلا عن إظهارها كقوة تجابه الخلافة العباسية بالمشرق، وهذا ما دفع بها للتوسع نحو مصر والشام بقيادة رابع خلفائها المعز لدين الله الذي أحدث نقلة نوعية في عمل كتامة وأبرز أهميتهم في جميع الأصعدة وفي هذا الاطار تندرج المذكرة بعنوان: "دور كتامة في مصر على العهد الفاطمي (362 هـ - 567 هـ /972 م- 1171م).

وحول دافع اختيارنا لهذا الموضوع هناك عدة عوامل جعلتنا نخوض فيه قدما أهمها الإشارات الشحيحة لبعض الدراسات عن دور الكتاميين ف مصر على العهد الفاطمي، الرغبة في معرفة الإنجاز الذي حققته قبيلة كتامة خصوصا في وادي النيل ومدى مساهمتها في إنجاح خطة العبديين للتوسع نحو المشرق، وكذلك محاولة تقديم عمل جديد لمكتبتنا التي تفتقد لمثل هذه الدراسات، نقص الدراسات المتعلقة

بالأدوار التي قامت بها معظم القبائل البربرية في مصر، والرغبة في معرفة النجاح الذي حققته قبيلة كتامة مع العبايديين..

تكمن أهمية هذه الدراسة أن هذه الفترة مهمة في تاريخ القبيلة المذكورة خاصة بعد فقدانها لعصبيتها طورها الأول (المغرب) مع عبد الله المهدي لهذا حاولوا استعادة مكانتهم في بلاط الفاطميين بالتوجه إلى بلاد أخرى (مصر)، وضع دراسة تاريخية لقبيلة كتامة التي كان لها دور في بلاد المغرب والمشرق فصارت القبيلة الدولة .

ومن الدراسات التي ركزت على دور هذه القبيلة الدكتور موسى لقبال في كتابه: " دور قبيلة كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلي منتصف القرن 5هـ" وهذا الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس1973م، حيث تحدث عن مساهمة قبيلة كتامة في كل الجوانب وعن طبيعة علاقتها بالدولة الفاطمية في المغرب والمشرق، غير أن موضوعنا هو جزء من هذه الدراسة خاصة بدورهم في مصر فقط ومحاولتنا للتفصيل أكثر.

لعل الإشكالية التي تتبادر إلى الذهن عند دراسة هذا الموضوع:

كيف استطاع الكتاميون مواصلة جهودهم في دعم الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر؟

تندرج تحتها عدة تساؤلات أهمها:

- ما هو الدور العسكري الذي لعبته هذه القبيلة ؟

- ماهي مميزات شخصية جعفر بن فلاح ؟ وماهي أهم أدواره؟

- ما الميادين التي برز فيها الكتاميون في مصر؟

- فيما تمثل تأثيرهم الفني والعمراني ؟

وقد تقصينا هذا الموضوع باعتمادنا على المنهج التاريخي القائم على وصف الحملات الموجهة إلى مصر والآثار العلمية والعمرانية والتحليل من خلال إبراز دوافع انتقال الفاطميين من المغرب إلى مصر.

وللإجابة عن الإشكال المذكور والتساؤلات السابقة اعتمدنا على خطة بحث مكونة من مدخل وثلاثة فصول.

المدخل : عبارة عن تعريف لقبيلة كتامة والحياة السياسية لها ودورها في كنف الدولة الفاطمية بالمغرب وتسلسل تاريخ هذه القبيلة مع الخلفاء الفاطميين.

جاء الفصل الأول بعنوان " الدور العسكري للكتامة بمصر على العهد الفاطمي" تطرقنا فيه إلى الحديث عن أسباب الإنتقال إلى مصر ببروز شخصية قيادية في الميدان العسكري وهي شخصية جعفر بن فلاح الكتامي ودوره في مصر.

الفصل الثاني عنوناه " الدور السياسي والإداري لكتامة في مصر على العهد الفاطمي" تضمن ثلاث مباحث حاولنا فيه الإلمام بالجانب الإداري من حسبة ووزارة وإدارة مالية بالإضافة إلى الجانب السياسي الذي تضمن أهم ولاة الأقاليم الكتاميين.

وأخيرا الفصل الثالث حمل عنوان " الإشعاع العلمي والحضاري لكتامة الفاطمية في مصر" وتضمن مبحثين حاولنا معالجة تأثير كتامة في الجانب

العلمي والعمراني على حد سواء إضافة إلى التحدث عن المساهمة الفنية من زخرفة ومدارس.

اعتمدنا على مصادر ومراجع من أبرزها:

المصادر:

كتاب "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" لتقي الدين ابن علي المقريزي (ت845هـ/1441م)يعتبر أهم وثيقة تاريخية عن العصر الفاطمي بدوريه المغربي والمصري، اعتمدنا على جزئيه الأول والثاني الذي تناول أحداث تلك الفترتين منذ بداية الدعوة حيث يبدوا دور كتامة متكاملا كما أشار إلى موقف الكتاميين من الخلفاء .

- كتاب " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار" المعروف اختصارا بـ "الخطط" لنفس المؤلف وهو كتاب خاص بتاريخ الفاطميين في مصر يصف عمارة مصر وصفا مفصلا تناول آثار كتامة في أجزاءه الثلاثة وميزة بعض قادتها والأدوار التي ساهموا فيها بمصر.

- كتاب" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر " لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1406م)، عبارة عن موسوعة شاملة للتاريخ الإسلامي، اعتمدنا على أجزاءه الأول والرابع والسادس اللذين أفادونا في معرفة أصل القبائل ونسبها.

- كتاب" النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري ببردي جمال الدين أبي المحاسن(ت874هـ-1469م) هو مصدر مهم تحدث بإسهاب عن فتح

مصر وأهم ملوك مصر والقاهرة فقد وظفنا أجزاءه الثاني والثالث والرابع في التحدث حول إرهاصات وتجهيزات الإنتقال نحو مصر.

- كتاب "صورة الأرض" لأبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت 367هـ/977م) الذي يعد مصدر جغرافي له أهمية بالغة في وصف مراكز كتامة وبطونها.

- كتاب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لأبي العباس شمس الدين ابن خلكان (ت 681هـ/1282م) من كتب الطبقات والتراجم ،اعتمدنا على أجزاءه الأول والرابع والخامس اللذين أفادونا في تقديم تراجم لأهم الشخصيات الإدارية والسياسية.

المراجع:

- كتاب " نظم الفاطميين ورسومهم في مصر" لعبد المنعم ماجد الذي يعتبر مرجع هام حيث أفادنا في الجانب الإداري من ذكر لشخصيات بارزة في هذا المجال.

- كتاب " كنوز الفاطميين" لزكي محمد حسن اعتمدنا به للتحدث عن الرخاء الفاطمي والفن والعمران في مصر، ومدى مشاركة وتأثير الكتاميين في هذا الميدان.

- كتاب "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري" لموسى لقبال وهذا الكتاب تحدث فيه بإسهاب عن قبيلة كتامة وطبيعة علاقتها بالدولة الفاطمية، كونه اهم مرجع، ويعتبر المنطق الأول للدراسة.

– ومع هذا لا يمكن لأي بحث أن يخلوا من الصعوبات والمشاكل التي تعترض الباحث في عمله لعل أهمها:

المعلومات الشحيحة في المصادر والمراجع في ذكر الدور الأساسي في مصر على غرار دورهم في الشام والمغرب ووجودها مبعثرة ومتفرقة، إضافة إلى آراء المؤرخين حول تفاصيل كثيرة من أحداث تاريخية كالاختلاف حول شخصية ابن فلاح وعلاقته بالمعز.

مدخل: نبذة تاريخية عن قبيلة كتامة

1- التعريف بقبيلة كتامة:

أ-أصل كتامة ونسبها:

تنتسب قبيلة كتامة إلى كتام أو كتم بن برنس[1] بن أمازيغ بن كنعان بن حام[2] وقد ورد في بعض النصوص التاريخية مصطلح بني كتامة الذي قد يشير إلى حد ما يميل لتأكيد فكرة بنوة فروع كتامة لجد أعلى هو كتام أو كتامة، كما جاء في هذا المصطلح[3].

هناك اعتبارات توضح سبب تسمية كتامة حيث أن الداعي[4] قال للكتاميين أن اسمهم مشتق من الكتمان الذي يعتبر مبدأ أساسي في الدعوة الإسماعيلية[5].

وغيرهم مما له علاقة ما بِاسم كتامة وله أصل اشتق منه، الأول فهو كلمة الكتيم[6] التي وردت عند ابن خلدون وقد تفرد بها عن سائر من أرخوا للمغرب التي أطلقها على سكان إيطاليا عندما احتك القرطاجيون بالرومان.[7]

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر للنشر و التوزيع، لبنان، 2001م، د.ط، ج6، ص195.

[2] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2005م، ط1، ص196.

[3] أبو العباس القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: علي الخاقاني، دار البيان، بغداد، 1958م، د.ط، ص405.

[4] الداعي: هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء، كني بأبي عبد الله، عرف بعدة ألقاب تدل على شهرته و تنوع نشاطه منها الشيعي، الصنعاني، المحتسب لممارسته الحسبة في البصرة و معلم، ينظر: بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص65.

[5] تقي الدين المقريزي، إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996م، د.ط، ج1، ص55.

[6] بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص295.

[7] إبن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1977م، د.ط، ص411.

ويبدوا أن العلاقة بين إسمي كتامة والكتيم هي فقط في وحدة الاشتقاق وفي تشابه الحروف لأن ابن خلدون، عندما فسر في كلامه ما يقصده بكلمة الكتيم لم يترك مجالا لافتراض آخر، قد أشار إلى كلمة الرومانيين أثناء حديثه عن طابع العلاقة الثانية بين روما و قرطاجنة، هذا يعني بأن كلمة الكتيم عنده ذات دلالة شاملة لسائر سكان شبه الجزيرة الإيطالية بما فيهم عنصر الرومان[1].

كان تفسير إسم كتامة يتمثل في توضيح الصلة بين كلمة كتامة العربية من جهة وكلمتي ucutami أوucutumani اللاتينيتين من جهة أخرى قد وردت في بعض النقوش التي ترجع إلى العنصر البيزنطي وتدل على وجود مجموعة من سكان القبائل جنوب منطقة جبل بابور يعيشون في إطار نظمهم المحلية وقد ورد شبيه لهذه الكلمة عند بعض المؤرخين الأوروبيين أن الأكتوماني هم قبيلة كتامة[2].

يلاحظ أن هذا النقش عثر عليه فج فيدول الذي يقع بين ميلة وجيجل أي بيئة كتامة الأصلية[3]، بين حواضرها الكبرى أن كلمة الأكوتوماني هي صيغة الجمع في اللغة اللاتينية هي نفسها الكتاميين في العربية وقد تصيد المؤرخون والرحالة المسلمون كلمة كتامة منها ، كما تصيدوا كلمة البربر وشاعت في كتاباتهم وأصبحت ذات طابع عربي[4].

أما الرواية الثانية بأصل كتامة فهي رواية النسابة والمؤرخون العرب منهم الطبري وابن الكلبي و تبنى على أساس أنهم من أصل عربي حميري[5].

---

[1] موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979م، د.ط، ص94.

[2] Gautoi,: les vendales et l'afrique ،paris, 1955, p121.

[3] Gautier, le passé de l'afrique du nord, les siécles obscurs, paris, payot,1942 ، p399.

[4] موسى لقبال، المرجع السابق، ص93.

[5] إبن جرير الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، دار القاموس، 1326هـ، ط1، ج1، ص105.

فقد جاؤوا ضمن الجيش بقيادة إفريقش بن قيس بن صيفي الذي إفتتح إفريقية[1] وضبط كلمة كتامة له نوع من الأهمية بسبب أن أغلب الباحثين ينطقونها بالكسرة مثل صنهاجة والقليل من الباحثين ينطقونها بالضم وهذا ما نادى به إبن منظور[2] والسمعاني الذي قال: "بضم الكاف وفتح التاء" وبالتالي فإن الضم هو النطق الصحيح و به أخذ الباحثون القدماء وهو الشكل المناسب بصياغتها اللاتينية التي جاءت في النقوشucutami من ثم كتبت (ko-ku) أما القلة منهم ومن غيرهم فينطقوها بالكسر ومن هنا تميل إلى وجود إسم كتامة قبل الفتح حيث كان يدل على مجموعة من الناس يعيشون في ظل نظمهم الخاصة بالمناطق المعروفة الآن بمواطن كتامة[3].

ب-بطون كتامة:

تجتمع بطون كتامة فرعين أساسين هما فرع غرسن بن كتام[4] ويسودة بن كتام وعنهما تفرعت بطون كتامة كلها فمن بطون غرسن بني يناوة[5] وبني ينطاسن، بني أيان، وأضيف إليهم من القبائل الأخرى مثل ماوطن، معاذ وقلان[6].

أ- فرع غرسن:

1- بني يناوة: يندرج تحت هذا الفرع عدة فروع أهمها:

---

[1] أبي القاسم القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تونس، ط1، ص16.

[2] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، بيروت، 1996م، د.ط، ص106.

[3] عبد الكريم السمعاني، الأنساب، نش: مرجوليت، دار الفكر، بغداد، 1912 م، د.ط، ص474.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص195.

[5] أبي القاسم إبن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1996م، د.ط، ص 88.

[6] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 93.

أ- جيملة: هو اسم لازال موجود لحد اليوم في جيجل، تنتشر قبائلها قرب جيجل وحتى في منطقة العلمة وهذه المنطقة ليست بعيدة من قلعة ايكجان[1].

ب- مسالتة: توجد هذه القبائل بين سطيف وأقبو، إحتوت هذه القبيلة على العديد من الرحالة الذين كان لهم وزن في قيام الدولة الفاطمية[2].

ج- لهيصة: تنشر قبائلها في ميلة، تازورت ويعتبر كل من كناوة ابنة مهدي وأبو مدين إلى تواجدها بنواحي ميلة في عهد الداعي[3].

2- بني ينطاسن: تتفرع عدة قبائل منها: أجانة، أوفاس، غسمان[4].

أجانة: توجد هذه القبيلة بين الميلية وبين جبل سدات، المسيد[5].

3- بنو أيان: منها قبيلة ملوسة أو ما تعرف بملوزة متواجدة قرب المسيلة [6].

كما توجد بقية منهم ضمن قبيلة أنجرة المستقرة بين ستة وطنجة حيث توجد بلدة سماها البكري ملوثة[7].

ب- فرع يسودة: من قبائلها متوسة توجد مضاربها في قسنطينة[8].

1- دنهاجة: مضاربها موجودة على وادي الصفصاف، تحتوي على ميناء فلاسة وورست[9].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص195.

[2] نفسه،ج6، ص 196.

[3] نفسه، ج6، ص 197.

[4] نفسه، ج6، ص197.

[5] نفسه، ج6، ص 199.

[6] نفسه، ،ج6، ص 196.

[7] أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، الجزائر، 1911م، ط1، ص 108.

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 197.

[9] نفسه، ج6، ص 168.

2- بني سليمان: تواجدوا قرب سليانة التي أصبحت تعرف باسم علي علوس قرب قرية الجرارم[1].

3- بني سكتان: انتشروا قرب قلعة لإيكجان، عرفوا بإسم بني سكفان[2].

4- بنو خطاب: تعرف بهم قلعة بني خطاب وهي من مراسي ميلة[3].

5- قبيلة زواوة: أكبر بطون كتامة، هم من بني سمكان بني يحي بن ضريس وأنهم إخوة زواغة مضاربها في جبال جرجرة[4].

وصف إبن خلدون بيئتها بقوله: "وجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعظم معاقلهم، وأمنع حصونهم، فلهم به الإعتزاز على الدول والخيار عليها في اعطاء المعزم"

لها عدة بطون منها: بنو مليكيش، بنو كوفي، مشدالة، بنو مزانة[5].

تنتمي قبيلة سدويكش وقبيلة بنو ثابت إلى كتامة، هما عبارة عن تجمعات قبلية شملت البطون الكتامية سابقة الذكر، كانوا يمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الإبل والبقر ولهم مع الدول في ذلك الوطن استقامة[6].

هم ينتفون من نسب كتامة ويفرون منه لما وقع منذ أربعمائة سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضة وعداوة الدول بعدهم، فيتفادون بالانتساب إليهم، ربما انتسبوا في سليم من قبائل مضر وذلك ليسا بصحيح وإنما هم من بطون كتامة[7].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 196.

[2] نفسه، ج4، ص 40.

[3] الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ، ط1، ج1، ص 63.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 200.

[5] نفسه، ج6، ص 200.

[6] نفسه، ج6،ص 197.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 197.

ج-مواطن كتامة:

كانت قبيلة كتامة من أكثر القبائل التي شغلت حيزا جغرافيا كبيرا وقد ذكر النسابة والمؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون بأن هذه القبيلة من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة وأطواعهم باعا في الملك عند نسابة البربر[1].

وهي منطقة كبيرة تمتد أراضيها في خط وهمي من قرب مرسى الخرز[2] إلى ما وراء مرسى تدلس[3] شمالا وبين جبال الأوراس[4] إلى جبال الحضنة الشرقية جنوبا، أما في الجهة الشرقية فإقليم كتامة يمتد من بونة[5] إلى بجاية[6] غربا، حيث قال إبن خلدون: "إن حدودها من حدود جبل الأوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة،

---

[1] ينظر الملحق رقم 01، ص 89.

[2] مرسى الخرز: مدينة في جزيرة على البحر ويحيط بها ومنها يرتفع المرجان، تنشئ السفن والمراكب البحرية، ينظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص173.

[3] مرسى تدلس: من مرسى الحجاج الى مدينة تدلس أربعة وعشرون ميلا وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومتنزهات، تخرج في الكثير من الأراضي، ينظر: محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزاوي محفوظ، 1988م، ط1، ج1، ص92.

[4] جبال الأوراس: جبل عال وعر على مسافة ثلاثين فرسخا تقع في جنوبه صحراء نوميديا وفي شماله إمارات مختلفة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1906م، ط1، ج1، ص390.

[5] بونة: تعرف الأن بمدينة عنابة وهي مدينة صغيرة على ساحل البحر ومعنى هذا اللفظ بلسان الإفرنج جيدة بينها و بين تونس ست مراحل، فيها بلدة صغيرة تعرف بترزن، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العرباوي، المجلس للشؤون الإسلامية، المملكة العربية المتحدة، د.ت، د.ط، ص436.

[6] بجاية: تقع في الإقليم السابع توجد على ضفة البحر وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة كانت في القدم عبارة عن ميناء صلداي، ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: عبد الحميد سعد زغلول، بغداد، 1958م، د.ط، ج6، ص128.

وتقوم من مواطنهم بلاد كبيرة أهمها إيكجان (سطيف)، يتكست، ميلة، قسنطينة، سكيكدة "[1].

تشرف على البحر الأبيض المتوسط مما مكنها على وجود عدة موانئ ذات مواقع إستراتيجية مثل: ميناء القالة وميناء عنابة اللذان يكتسبان أهمية تجارية كبيرة إستطاعت بفضلهم إقامة مراكز حضارية وكذا الإحتكاك بشعوب البحر المتوسط مما سهل عليها عملية المبادلات التجارية[2].

أقامت علاقات مع مختلف الإمارات وذلك بفضل الموقع التي تتميز به القبيلة، كانت تصدر لهذه الشعوب زيت الزيتون، الخمور، الحوامض[3].

كما نجد مناطق وأماكن عن السكان وهذا كله بسبب وجود كتل جبلية التي تمثلت في جبال البابور وجبال البيبان[4].

والطابع الجبلي هو الغالب على المنطقة نلاحظ وجود سهول مثل سهول سكيكدة و سهول سطيف وملائمة الظروف الطبيعية المتمثلة في وجود أجود الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة والمناخ الذي تتميز به[5].

كما نجد إقليم كتامة يحتوي العديد من الأنهار والأودية كنهر سيوس الذي يصب في البحر عند بونة، نهر الصومام الذي يقع شرق مدينة بجاية ومصبه يكون في ساحلها وهو يتسرب إليها من خلال جبال جرجرة[1].

---

[1] بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها وأعيانها، دار الكتاب العربي،2007م، د.ط،ج2، ص254.

[2] رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين الى مصر(80هـ-699هـ)/(362م-933م)، دراسة إجتماعية، إشراف بوبة مجاني، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، ص26.

[3] إبن حوقل ، المصدر السابق، ص91.

[4] شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ط1، ص19.

[5] أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص33.

إضافة إلى وجود العديد من المنابع في إيكجان مثل نبع عين الأوقات[2].

[1] البكري،المصدر السابق، ص34.

[2] شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مديولي، مصر،1991م، د.ط، ص 241.

2- الحياة السياسية لقبيلة كتامة:

من الواضح أن منزلة كتامة وأهميتهم بالنسبة للخلافة الفاطمية لاتشبهها إلا منزلة الخرسانية والأتراك، في حياة الخلافة العباسية مع فارق هام، هو أن كتامة كانوا عنصر التأسيس والتدعيم ورفيق النصر والهزيمة منذ البداية وحتى سقوط الدولة[1]، وحركة الدولة الإسماعلية السرية في بلاد المغرب يرجعها كثير من المؤرخين إلى عصر سادس الأئمة العلويين جعفر الصادق[2] الذي إهتم بنشرها في الأفاق البعيدة وإليه يعزى إرسال الداعيين إلى بلاد المغرب وهما عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني وأبو سفيان الحسن بن القاسم[3] وقد أوصاهما بالتوغل في بلاد المغرب حتى مضارب البربر وراء ولاية إفريقية والإنفصال عن بعضهما أي يتجه كل منهما إلى ناحية خاصة[4]، كل ذلك مبالغة في التستر والحذر وضمانا لتعميم الدعوة، وقد بسط جعفر الصادق أمام الداعيين رأيه في طبيعة البلاد وفي مدى استعداد سكانها في تقبل الأفكار الجديدة[5] بقوله المشهور: " إذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا فإحرثاها وكرباها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها"[6]، وتشير النصوص إلى أن الداعيين نفذا التعليمات بأمانة ودقة عند وصولهما إلى مدينة مرماجنة[7] فنزل كل منهما في منطقة بعيدة عن الأخر

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 11.

[2] جعفر الصادق: هو جعفر بن محمد الباقر بن على بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان له اهتمام خاص بآل البيت وآدابهم وفضائلهم بين جمهور المسلمين، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 65.

[3] إبن أبيك الدواداري، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، نش: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961م، د.ط، ص 113.

[4] شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، د.ت، د.ط، ص 24-26.

[5] نفسه، ص 26.

[6] ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965م، د.ت، ج8، ص11.

[7] مرماجنة: مدينة قديمة في منطقة الكاف بتونس تقرب من مجانة في اتجاهها يسلك إلى مسكيانة ولا تبعد عن الأربس وسبيبة بأكثر من مرحلة صغيرة بها جامع وفندق وسوق، ينظر: ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 86.

وفإستقر أبو سفيان بموضع قريب من منطقة تالة[1] وكرس وقته للدعوة عن طريق التعليم والتجارة، أما ثاني الدعاة وهو الحلواني فقد توغل في أرض البربر بعيدا عن مرمجانة وعن مجالها حتى أصبح على هامش أرض كتامة ونزل هناك موضعا سمي بالناظور بقرب سوفجمار[2] وأصبح بسبب الدعوة وإنشغاله بالتعليم والعبادة مقصد سكان النواحي من قبيلة كتامة وسوماطة[3] (من نفزاوة)، وهكذا ضرب الناس من هذه القبائل إليه وتشيع كثير منهم على يديه [4].

أ-رحلة الداعي والتقاء بوفد الحجيج الكتاميين:

لحكم قرب الناظور[5] من منطقة كتامة كانت دعوة الحلواني هي الشرارة الأولى التي إتقدت في عصر الداعي عندما أقبل مع جملة من الحجيج في أهل مكة، فلما قضى الناس حجهم وإستقروا بمنى، جعل أبو عبد الله يمشي بها فمر على جماعة من كتامة ممن حج تلك السنة وهم في رحالهم[6] والنصوص التاريخية تشير إلى نجاح الداعي باستعماله لأساليب خاصة في التدرج بوفد كتامة قبل أن يكشف عن شخصيته بطريقة روائية، مجرد قصة للتأثير نمقها مؤرخو ودعاة الإسماعلية ونقلت عنهم[7]، وأثناء عودة الحجيج إلى بلادهم صحبهم إلى مصر وأخذ يستفسر عن

---

[1] تالة: مدينة في الشمال الغربي في تونس تقرب من مدينة الكاف ولا تبعد عن أقرب نقطة للحدود بمسافة كبيرة، ينظر: نفسه، ص 80.

[2] سوفجمار: شكل الكلمة في المصادر يتراوح بين جّمار وحمار أو حماد أما سوق جّمار فيوجد بوادي سوف أقصى الزاب كما يوجد اسم معروف سوق جمورة بمنطقة الأوراس، ينظر: البكري، المغرب ، ص181.

[3] سوماطة: هي فرع من نفزاوة في إقليم القيروان وناحية ملیانة بقرب بني جناد وجبال الهبط بين قبائل جبالة وجبال زواوة وتنتسب اليها، ينظر: ص74.

[4] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 216.

[5] يكون الحلواني قد نزل في مكان غير بعيد من قسنطينة، أي في عمق أرض كتامة ويلاحظ أن هذه المدينة وعلى اهميتها سقطت في يد الداعي، ينظر: الشريف الإدريسي، وصف افريقية الشمالية والصحراوية، نش: هنري بيربس، الجزائر، 1957م، ص 65.

[6] المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص 55.

[7] الدواداري، المصدر السابق، ص 97.

بلادهم وعن استعدادهم ومدى طاعتهم لحكامهم[1] فكان مما سألهم[2] كيف طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم؟ فقالوا: مالنا عليه إنه سلطان قال وكم بينكم وبين موضعه قالوا: هي في حدودنا قال فلسلطان إفريقية عمال قالوا إنما هم رجال ملكوها...[3]وبعد رد وجواب أصروا على اصطحابه إلى ديارهم فقبل بعد تمنع وعندما وصل الركب أرض كتامة في ربيع الأول 288هـ تنازع عليه الكتاميون ففاجأهم بسؤاله: "أي موضع عندكم سمي فج الأخيار؟ فدهشوا وقالوا عند بني سكتان"[4]، فقال: " فإليه نقصد ثم نأتي كل قوم منكم إن شاء الله في مواضعهم ونزورهم في بيته ولا نجعل لأحد منكم من نفسي حظ دون أحد"[5].

ب-كتامة والعمل العسكري:

سار أبو عبد الله مع حريث وموسى أبي القاسم الورفجومي وأبي عبد الله الأندلسي إلى إيكجان[6] موضع موسى حريث من بني سكتان ونزل أبو عبد الله بإيكجان، فأقام بها، وصدر عنه كل من كان معه من حجيج كتامة إلى مواضعهم، وأقبل عليه الناس من كل ناحية وتسامعوا به[7]، ولما ذاع صيته خشي والي إفريقية وأرسل إليه رسالة فيها طابع التهديد و الإغراء معا، لكن عبد الله المهدي لم يأبه بها وأكد أنه ليس إلا رسول لأمر قد حم وقرب [8].

في هذه المرحلة خشي بعض الكتاميون أن تزول السلطة بين أيديهم إذ نجح الداعي الشيعي في قلب الوضع السياسي لصالحه ووجدوا أن استعمال القوة والعنف

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 222.

[2] إبن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، مكتبة صادر، بيروت، 1950م، د.ط، ج1، ص166.

[3] نفسه، ج1، ص168.

[4] نفسه، ج1، ص170.

[5] نفسه، ج1، ص171.

[6] ايكجان: مدينة بقرب سطيف على مرحلة ونصف من بجاية وبها قبائل كتامة بها حصن حصين ومعقل، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق،ج1، ص70.

[7] إبن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص172.

[8] المصدر نفسه ،ج1، ص173.

لن يكون في صالحهم[1] ولذلك آثروا على اصطناع الحيلة وتطور الأمر إلى حرب بين الفريقين، وأحس الشيعي بما يدور حوله كما شعر بذلك حسن بن هارون من أكابر كتامة فانتقل إلى تازورت[2] وغدت إيكجان لأول مرة خالية من عناصر القوة والمجد[3].

تميزت إقامة الداعي في تازورت بعدة مميزات أهمها:

- أنه أصبح ضيف شرف على زعيم القبيلة حسن بن هارون الذي خصه بمكانة لائقة و آثر النقلة إلى البيئة الجديدة[4].

- لقي أنصاره الذين صحبوه إلى تازورت، تأنيسا لهم من الوحشة وتخفيفا عنهم من مشقات النقلة المفاجئة وفي نفس الوقت بقاء الصلات التاريخية بقلعة إيكجان التي بقي فيها جمع كثير من الأنصار.

-كفل موقع تازورت غير المنعزل الداعي ميزة القرب من حواضر كتامة التي كانت حادثة النقل قوية الصدى عندهم وفي سائر قبائل كتامة الأخرى[5].

وقد كان الداعي في ايكجان شبه محاصر يعيش حياة التستر في أغلب الأحيان أما في تازورت فقد لزم الظهور وأصبحت في قلب كتامة وأعلنت تازورت دار الهجرة[6]، واقتضى الوضع الجديد مزيدا من التنظيم والإعداد للمواجهة الحقيقية مع المعارضين وتشير المصادر إلى عدة اجراءات أهمها: أن الداعي تمركز بأنصاره

---

[1] القاضي ابو حنيفة النعمان، إفتتاح الدعوة(346هـ-957م)، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ت، د.ط، ص57.

[2] تازورت: هي قلعة تقع جنوبي شرقي قلعة إيكجان في إتجاه ميلة وردت بإسم تاصورت، ينظر: المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص58.

[3] النويري، المصدر السابق، ص 29.

[4] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 251.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق ، ص71.

[6] اعلان تازورت دار الهجرة كان ضربة موجهة لبني سكتان وتبيان بني صقلاب وحركة قصد بها الشيعي إعطاء الحصن الجديد أهمية لبعد مركز تجمع وانطلاق أنصاره في حماية الحسن بن هارون، ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص171.

في تازورت واتخذ لها سورا وبنى فيها مقرا دائما له وهو الذي أحاطه بخندق عند بدء الحرب مع المعارضين وقام الداعي بتنظيم القبائل المؤيدة له في مضاربها[1].

[1] شهاب الدين النويري، المصدر السابق، ص 29.

3-كتامة والدولة الفاطمية:

قبيلة كتامة هي عصبية الدولة الفاطمية وأساس ظهورها على أرضها نمت الحركة الإسماعلية وعلى سواعد أبنائها قامت الخلافة الفاطمية على حساب الأنظمة السياسية والمذهبية في إفريقية وبلاد المغرب وقضي على الكثير من الفتن والثورات، وعمل دعاتها وجندها على نشر المذهب الإسماعيلي بكل همة ونشاط[1] منذ أن استقر المهدي في رقادة[2] بدأ يتصرف على أساس الاعتماد على رجال كتامة في تسيير شؤون الدولة الجديدة وفي مواجهة خصومها.

منها قضى على الحركة السرية المعاكسة لأبو العباس المخطوم[3] ولتقديمهم على رأس الدولة عمالا وولاة منهم القضاة والدعاء وقادة الجند في افريقية[4] وفرق عسكر كتامة على جهات البلاد وفي المناطق التي انضمت إل إطار الدولة وعين على بعض موانئ الدولة الهامة رجالا منهم عروبة بن يوسف الذي قضى وقت في سوسة بعد انتهاء مهمته في رقادة عقب دخول الداعي إليها كما عين على تاهرت وأشرف منها على سائر الجزء الغربي[5] من الدولة، حث المهدي رجال كتامة على التأنق في المجلس والتجمل واقتناء خير مركوب والظهور في مظهر يشرف الدولة الجديدة في إغداق الأموال عليهم فقد ظهروا بأزياء حسنة وعناية المهدي بهم وإثرائهم على حساب غيرهم[6] فأفسد طباعهم وأثر على أخلاقهم فمالوا إلى التعالي على الجماهير وإلى إرتكاب ما لا يتناسب مع الذوق السليم والآداب العامة وإلى تفضيل حياة البلاخ والقصور والجواري في حواضر إفريقيا ومدنها على حياة الجندية

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 434.

[2] رقادة: وهي من القيروان على 4أميال ؛مدينة كبيرة، كانت أكثر بلاد إفريقية بساتين، يقال أنه ليس بإفريقية أعدل هواءً ولا أرق نسيما ولا أطيب تربة، أنظر: مؤلف مجهول، الإستبصار، ج1، ص116.

[3] أبو العباس المخطوم: يعرف بالمعلم لأنه كان يعلم مذهب الإمامية من الدين إلتقوا بعبيد الله الشيعي في الحج ولزمه وشهد مجاله وقاده في عمله، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص77.

[4] يحي بن سعيد الأنطاكي، ذيل تاريخ سعيد بن البطريق، نش: كراتشوفسكي، د.ت، د. ط، ص 756.

[5] نفسه، ص 756.

[6] القاضي النعمان، افتتاح، ص187.

ومتاعبها[1]، ولما كان عبد الله الشيعي أحسن من عرف كتامة على حقيقتها لم يرتح لهذا التطور المفاجئ، واعتبر المبالغة بهم في العناية عاملا على إفسادهم وإضعافهم لطاقة الحربية وهو أمر يؤثر على كيان الدولة التي لم تقم على أساس التمسك بهذه الطبقة[2].

كان في رأيه أن يتم الاعتناء بهم في الميدان العسكري لا في مجال الحكم والترف لتبقى مخلصة للنظام والإمام من نسل علي بن أبي طالب ولم يكن الداعي معرضا حيث قال: "يا مولانا إن كتامة قوم قد قومتهم بتقويم وأجريتهم على تربيتهم وتعليمهم وتم لي منهم بذلك ما أردت وبلغت بذلك منهم ما قصدت"[3] وبسبب خبرته بهم وعبر بصدق عن تجربة كاملة عاشها بين أظهرهم عدة سنين وإخلاصه وحرصه للدولة على استمرارها هما اللذان دفعاه للتجرؤ على مركز الإمامة[4] لإظهار تذمره ومعارضته بعض تصرفاتهم تجاه عصبية الدولة "هذا الذي فعلته بهم من إعطائهم الأموال وتوليتهم الأعمال وما أمرتهن به من اللباس والحلي فسادا لهم للخروج من عاداتهم"[5].

---

[1] القاضي النعمان، افتتاح، ص187.

[2] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 435.

[3] أبو حنيفة النعمان، الهمة في إتباع أداب الأئمة، تح: كامل حسين، القاهرة، د.س، د.ط، ص 79.

[4] عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 195م،د.ط،ج1،ص 68.

[5] القاضي النعمان، إفتتاح، ص 190.

استاء المهدي من موقف عبد الله الشيعي لكنه لم يظهر له شيئا ولم يذعن لآرائه، فركز جهوده على منطقة إفريقية واهتم هو وخلفاؤه بالحواضر الجديدة التي أنشئوها على الساحل[1]مثل المهدية[2] أو في إقليم الزاب[3] في مثل هذا الظرف والمتمثل في عدم طاعة المهدي لعبد الله الشيعي تجاه كتامة وإمتيازات شيوخها وواجه حركات ثورية وإنتفاظات كبرى انطلقت أولها من أرض كتامة نفسها، وكانت رد فعل لأخذه الأموال وتركه إيكجان مهملة[4]، فترك تصفية الثورة للعناصر الداخلية الذين بقوا على الولاء له تمكنوا من إخماد الحركة الإحتجاجية الأولى في أرض كتامة وأخذوا زعيمها أسيرا وأرسلوا أخبار نجاحهم في مهمتهم إلى رقادة[5].

بداية الصراع بين بطون كتامة (أجانة وملوزة) من أجل الظفر بالمركز الأكثر حظوة بعد قيام الدولة هما اللذان خلقا موقفا معقدا أدى إلى خيانة عروبة بن يوسف للداعي وأثار غضب زعماء كتامة نزعة الإستبداد عند المهدي، ثم حياة الرخاء والنعيم التي أصبح يتقلب فيها دونهم مع أنهم سبب مجده[6].

"والله لتركناه يقاسمنا هذه القصور التي نزلها إلى الأجانب التي حولها إلا بالإشارة ويكون الأمر أمرنا والحكم حكمنا كما كان ولا رضينا أن نأخذ من تحت يده كما كان لنا الفضل فيما تعطر فيه"[7].

---

[1] موسى إقبال، المرجع السابق، ص 436.

[2] المهدية: تقع على ساحل القطر الإفريقي في الجنوب الشرقي من مدينة تونس تبعد عنها حوالي 200كلم، بناها عبيد الله المهدي سكنها سنة308هـ، تبعد عن القيروان بمرحلتين، ينظر: البكري، المغرب، ص184.

[3] إقليم الزاب: قرية تقع على نهر صغير يسمى الزاب ويصب في شط الحضنة كانت في أصلها حصن روماني يسمى Zabi، تقع بين أولاد نايل غربا وجبال الأوراس شرقا بها المياه والانهار والعيون من مدنها المسيلة، طبنة وسكيكدة ...، ينظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تر: حسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، د.ط، ص281.

[4] ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص 221.

[5] نفسه ج1، ص221.

[6] موسى القبال، المرجع السابق، ص 438.

[7] القاضي النعمان، افتتاح، ص196.

بالرغم من نجاح المهدي في قتل زعماء هذه الحركة الثورية إلا أنه شعر بأثر الحادث الذي دفعه إلى التحرك لشرح القضية وملابساتها لأنصاره في المشرق[1]، لقوله "أما بعد فقد علمتم محل أبي عبد الله وأبي العباس من الإسلام فأزلهما الشيطان فطهرتهما بالسيف والسلام"[2].

أما في إفريقية فقد احتجب لعدة أيام ثم أعلن كتامة واستقبل رجالها كلا على حدا ثم قبض كلا على حدا ونكل بهم نكلا شديدا كلا على حسب دوره[3].

صنعت هذه الظروف من كتامة عنصرا مشبوها ومنبوذا، تعيش محنة كبرى وتنطوي على غضب شديد وإنفعالات خطيرة عبرت عنها عمليا في الثورات المتعددة ومن ذلك ادعائهم بأن أبا عبد الله حي لم يمت، واصطنعوا لأنفسهم مهديا جديدا في أرض كتامة بعد فشل ثوراتهم بأرض افريقية[4].

وفي أواخر شعبان (299هـ/912م) في مدينة القيروان[5] اشتبك رجال كتامة مع سكان المدينة لأنهم منعوه من السلب والنهب ولم تنته هذه الفتنة إلا بعد أن تصدى لها عامل المدينة ابن أبي الخنزير الذي سكت الناس وأمر بتغييب القتلى فطرحوهم في المراحيض وبلغ عدد القتلى الكتاميين نحو1000 رجل[6].

مشاركة كتامة في اسقاط الدولة الرستمية:

لعب الجند الكتامي دورا في إسقاط الدويلات باختلافها، من بينها الإمارة الرستمية التي خلفت 130 سنة، وبسقوطها كانت تاهرت مركزا هاما استولت عليه

---

[1] المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 68.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 228.

[3] المصدر نفسه،ج1، ص 229.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 19.

[5] القيروان: تقع بتونس على بعد 156كلم من العاصمة وهي كلمة فارسية الأصل دخلت إلى العربية وتعني مكان السلاح ومحطة الجيش، فتحها عقبة بن نافع في 50هـ وهي أم الأمصار، ينظر:محمود مقديش، المصدر السابق، ج1، ص115.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 230-231.

الخلافة الفاطمية وضمتها إلى إطار الدولة فقد تميزت بعدة مميزات هامة يأتي في مقدمتها:

- أن الدولة الفاطمية الشيعية نجحت في القضاء على قوة المذهب الإباضي[1]،

عندما تشتت أنصاره في مجاهل الصحراء، لم يخل مشروع تصفية الإمامة من ردود فعل أخرى حيث كان تموقع الإباضية في جبل نفوسة و ثوراتهم ضد الفاطميين[2] ثم ثورة ابي يزيد المكنى بابن كيداد.

كانت أكبر ثورات تشكل خطرا حقيقيا على كيان الدولة الفاطمية ثورة يزيد بن مخلد بن كيداد زناتي[3]، وكان من أهم قسطيلة من مدائن بلد توزر وخالط النكارية[4] من الخوارج وهم الصفرية وكان يذهب إلى تكبير اهل ملته واستباحة الأموال والدماء والخروج عن السلطان[5] ، بدأ العدة تمهيدا للثورة على الفاطميين فصار له جماعة يعظمون ذلك في أيام المهدي، وتزايدت شوكته وكثر أتباعه في أيام القائم بأمر الله[6]، واخذ بنفسه بالحسبة على الناس في تغيير المنكر وتلقب بشيخ المؤمنين، وقد مر الصراع بينه وبين الدولة بمراحل:

---

[1] المذهب الإباضي: ينسب إلى عبد الله بن إباض المؤسس الروحي لكن المؤسس الحقيقي هو جابر بن زيد ظهر في المشرق على يد عبد الملك بن مروان(65هـ-86هـ) أصوله تسعة، ينظر: أحمد بن سعيد الشماخي، السير، دار البارونية، مصر، 1522م، د.ط، ص76.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص230.

[3] أبو يزيد بن كيداد الزياتي المعروف بصاحب الحمار أصله من قسنطينة أما عن مسقط رأسه فهي مدينة كوكو السودانية. ينظر: سعد زعلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زير الصنهاجيين إلى قيام المرابطين ،ج3، القاهرة، 1990، ص 171.

[4] خوارج المغرب الاندلس من الاباضية الذين أنكرو الايمامة. ينظر: عبد المنعم الحنيفي، موسوعة الفرق والمجاعات والمذاهب ، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1949، ص 652.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 52.

[6] محمد اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4هـ، رسالة دكتوراه، دار الثقافة، المغرب، 1985، ص 241.

فتح بلاد الزاب[1]: ظهر أبو يزيد في منطقة الأوراس فقد عول القائم بادئ ذي البدء على مباغتته في فك الحصار الذي صربته جيوش القائم حول مقره واحرز نصرا ذاع صيته من خلاله[2]، إذ حاصر باغابة [3] تاركا ولائه بزناتة على حصاره متجها إلى تبسة ففتحها صلحا ثم مجانة حيث هدم صورها واستولى بعد ذلك على مرماجنة[4]، وفي لقب بصاحب الحمار حيث أهدي له فيها حمار أشهب فكان يركبه وكان يلبس جبة صوفية قصيرة ثم دخل بنو كيداس بالأربس في طاعته وسلموه رجال الحامية الكتامية فقتلهم وسبى نسائهم واطفالهم ووزع الغنائم على رجاله أثار الزحف أبي يزيد الهلع بالأربس والتي تعد مفتاح القيروان، وتعرضت المشارقة الفاطميين وأتباع السلطان للقتل ونهبت المدينة وأحرق جانب كبير منها بالنار وقتل أهلها، حيث التجا إلى الجامع وبعث عسكر إلى سبيبة ففتحها وصلب عمالها، وهكذا انتهت الثورة[5]

-سقوط تاهرت التي تقع في مجال البتر على أيدي بربر كتامة من البرانس أي تمسك البتر وبدو زناتة بالعداء والمقاومة الشديدة والتي ارتبط مصيرها بسيادة فرع البرانس وكتامة خاصة[6].

وهكذا يلاحظ بأن دور كتامة في حركة التوسع الفاطمي في تاهرت و مجالات الزناتة أسفرت عنه عدة نتائج:

أ- سقوط نظام الإمامة الرستمية وسيرورة الإباضية بظهور جماعات طائفية متشردة.

---

[1] الزاب: منطقة سهلية واقعة بين أولاد نايل غرب جبال الأوراس شرقا وبها مياه سائحة والأنهار والعيون كثيرة مدنها مسيلة. بنظر الحميري، المصدر السابق، ص 281.

[2] محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 243.

[3] المرجع نفسه، ص 243.

[4] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ط2، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ص 533.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 52.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص229.

ب- ظهور حركة معارضة داخلية لوجود كتامة في تاهرت كانت تغذيها مجموعات مذهبية غير شيعية.

ج- لعب فرع مغراوة وأسرة محمد بن خزر دورا كبيرا في إضعاف النفوذ الفاطمي في تغذية حركات العداء ضد ولاة الفاطميين فكان بحق عقبة كأداء في سبيل الأمن[1].

د-أما عن علاقة كتامة مع الخلفاء الفاطميين فاختلفت من خليفة الى آخر ففي روابطهم مع أبي القاسم محمد القائم بأمر الله[2] فلم تتحدث المصادر عنها بل مرت مرور الكرام و بشكل عابر.

سوى أن الكتاميين أعاقوا حملة القائم على مصر فقتل الحامية الكتامية انتقاما منه[3]، أما المنصور[4] الذي أظهر جديته فقد أنصف جند كتامة و أعاد اليهم اعتبارهم كحماة للنظام في المسؤولية و كان ثناءه و تمجيدهم لدورهم في الخطبة[5] التي أعلن وفاة أبيه القائم بأمر الله[6].

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق، ص363.

[2] القائم بأمر الله: هو ابو القاسم محمد بن المهدي بن عبيد الله ولد بسلمية محرم80هـ بويع له بالخلافة سنة422هـ وصف بأنه كان ورعا عالما ينظر: جلال الدين السيوطي ،، تاريخ الخلفاء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، القاهرة، 1986م، ط1. ص388.

[3] فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية في المغرب، تر:حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ط1، ص215.

[4] المنصور بالله: هو ابو الطاهر إسماعيل ابن القائم المهدي العبيدي باطني صاحب المغرب، تولى الخلافة بعد أبيه وهو الذي قضى على ثورة ابن كيداد كان فصيحا يرتجل الخطب، ينظر: خير الدين الزركلي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص 157.

[5] ينظر الملحق رقم02، ص 90- 91 .

[6] القاضي النعمان، المجالس و المسايرات مكتبة جامعة القاهرة، مصر، د.ت، د.ط، ج1، ص13.

على نهج المنصور سار المعز لدين الله[1] الذي كان أحد أكبر رجال عصره فاق أقرانه ومنافسيه باعتماده على كتامة فقد خاطبهم بالأولياء والأنصار؛ بقوله: "وأخصص أولياء دولتنا و أنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين بما استجوبوه بطاعتك وقضاء فروضك و موالاة أوليائك و معاداة أعدائك"[2]، وأسبغ عليهم نعما وامتيازات وأعاد اليهم المسؤولية والى بلادهم اعتبارها وأكثر من الاتصال بقادتهم شبابهم وشيوخهم.

وهكذا دخلت كتامة عصرا جديدا وهو بحق عصرها الذهبي الذي لم تعرف شبيها له، إلا في فترة قصيرة في حياتها بعد قيام الدولة في المغرب ثم انتقالها في مصر[3]، كان يؤكد عليهم بكل مناسبة عن طريق القسم ما يكنه لرجالات كتامة من تقدير ومحبة فيصفهم بالإخوة والأبناء "أنتم البنون والأخوة و الأقربون ما يعد لكم عندي أحد ولا يبلغ مبلغكم من قلبي بشر"[4].

لإدراك المعز بأن كتامة امتحنت في عصر المهدي وزالت عنها الرئاسة فتخطتها المسؤولية حتى خمل ذكرها ونشأ الجيل الثاني من رجالها بعيدا عن الدولة لأن الجيل الأول فني في الحرب والفتن الداخلية فأراد أن يعيد الوضع الى سيرته الأولى[5]، عين شباب كتامة على نفس أعمال آبائهم من قبلهم و وجههم توجيها خاصا واشترط عليهم الطاعة والامتثال ورعاية حقوق الإمام[6].

لخوفه من حركة الانفصال ثأرا لما حل بآبائهم من قبل كان يوضح أمامهم بأن ما حصل في عهد المهدي لرجالهم و زعمائهم كان يقصد به تطهيرهم من الذنوب

---

[1] المعز لدين الله: هو ابن المنصور بالله الطاهر بن القائم بن عبيد الله المهدي لقب بالمعز لدين الله و كني بأبي تميم، ولد 11 رمضان319هـ/932م ولي العهد و عمره 24 سنة و هو رابع الخلفاء بالمغرب وأولهم بمصر، ينظر: ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص221.

[2] العزيز الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، تح: محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر، القاهرة، 1954م، د.ط، ص84.

[3] نفسه، ص116.

[4] القاضي النعمان، المجالس، ج1، ص156.

[5] ينظر الملحق رقم 03، ص 92.

[6] القاضي النعمان، المجالس، ج1، ص157.

وتربية غيرهم من عامة الناس[1] حفاضا على النظام والانسجام بين رعايا الدولة وهو المبدأ الذي حرص على تحقيقه حرصا كبيرا تمثل ذلك حتى في المناسبات الاجتماعية من ذلك ما أمر به من ختان الأطفال في أرجاء الدولة بمناسبة ختان[2] أبنائه: عبد الله، نزار وعقيل، وقصد أن تكون أفراحا وسرورا[3].

من خلال الإطراء في مواعظ المعز لدين الله لأخلاق كتامة، وجهوده في بث روح جديدة بين ربوعهم أثمرت و هيأت لظهور قوة كتامة التي تعتز بماضي أسلافها في الدعوة وبدورهم في حركة توسيع نفوذ الدولة في المغرب وأهمية دورهم في الاستمرار في دعم الدولة لتدرك أهدافها في المشرق[4]، من بينهم برزوا قادة عظماء ساروا على الدرب من أهمهم: ابن عطاء الله والي قابس، صولة متولي ديوان الخراج في إفريقية، عبد الله بن يخلف عامل طرابلس، عسلوج بن الحسن الدنهاجي الذي كان أحد رحال المعز المقربين ثم جعفر ابن فلاح مساعد جوهر في حملة مصر ولمعرفة موقف الكتاميين من السير الى مصر امتحنت كتامة[5] من طرف المعز عندما رغب في تعيين عمال للصدقات في مدنهم لجمع الأموال وإرسالها الى دار الخلافة[6].

أحضرهم إليه فقالوا: "ما كنا يا مولانا بالذي يؤدي جزية تبقى علينا" تظاهر المعز بالسرور[7] وقال: "إنما أردت أن أجربكم فأنظر كيف أنتم من بعدي، إذا سرنا عنكم الى مصر هل تقبلون هذا أو تفعلونه و تدخلون تحته ممن يرومه منكم والآن سررتموني، بارك الله فيكم"[8].

---

[1] القاضي النعمان، افتتاح، ص600.

[2] ينظر الملحق رقم04، ص93.

[3] القاضي النعمان ، افتتاح، ص603.

[4] المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص98.

[5] ينظر الملحق رقم 05، ص94.

[6] المقريزي، المصدر السابق،ج1، ص98

[7] ينظر الملحق رقم06، ص95.

[8] المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص99.

الفصل الأول: الدور العسكري لكتامة في انتقال الحكم الفاطمي إلى مصر

- **المبحث الأول: ارهاصات الانتقال (الأوضاع، الدوافع، التجهيزات)**
- **المبحث الثاني: شخصية جعفر ابن فلاح الكتامي (النسب، النشأة، الدور)**

المبحث الأول: ارهاصات الانتقال (الأوضاع، الدوافع، التجهيزات)

1- أوضاع المشرق الإسلامي قبل استيلاء الفاطميين على مصر:

بدأت دولة بني العباس في النصف الاول من القرن الثاني وذلك بعد أن استطاع عبد الله بن محمد بن علي بن العباس ومعه أبو مسلم الخراساني من هزيمة آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد في معركة الزاب 132هـ[1] ، ومن قبل ذلك كان أبو العباس السفاح[2] قد بويع في مدينة الكوفة معقل الدولة العباسية كأول خليفة عباسي ، وقد جاء بعد السفاح عدد من الخلفاء ربما يكون أقواهم أخوه أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة وباني مدينة بغداد عاصمة الخلافة[3].

استمر الخلفاء فيما عرف بالعصر العباسي الأول وتدرجت الدولة في مدارج القوة والسلطة والرقي حتى وصلت في عهد هارون الرشيد أشهر خلفاء العباسيين وأعظمهم شهرة وأصبحت بغداد في عهده عاصمة الدنيا وكان عهده هو القمة في دولة بني العباس ربما بعصريها الأول والثاني[4].

من بعده تدهورت الأوضاع وبدأت الحرب الأهلية بين الأمين ازدهار، يبدو أن مرد هذا التغيير يكمن في الظروف السياسية والإجتماعية والاقتصادية التي عاشتها الدولة العباسية في العصر العباسي الأول الذي استمر حتى سنة 232هـ، حيث بدأ

---

[1] حسن إبراهيم حسن ،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ،دار الكتب ،القاهرة،1964 م،د.ت، ج2 ص19.

[2] أبو العباس السفاح : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ان العباس أول خلفاء العباس، تولى الحكم وعمره 26 عام، أمه ريطة الحارثية، كان مولده بالحميمة من البلقان سنة 104هـ(الأردن حاليا) حكم عام(104هـ_721م)، ينظر: عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ والغداري والمالي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006م، ط1، ص64.

[3] الناصر عبد الله أبو كروق، العصر العباسي الثاني بين المحاسن والمساوئ وعظات التاريخ ، مجلة الآداب جامعة افريقيا العالمية، كلية الآداب، قسم التاريخ، العدد3، ص142.

[4] الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد مدينة السلام ، لبنان ،د.ت، ط1 ، ج1 ،ص75.

العصر العباسي الثاني بخلافة المتوكل[1]، في هدا العصر وصل إلى سدة الحكم ما يقارب ثلاثين خليفة بدأوا بالمتوكل232هـ وانتهوا بالمستعصم[2] الذي تدمرت في عهده بغداد 656هـ[3]؛ وقد حمل معه بذور الانفصال نتج عن هذه التجزئة ظاهرتان متعارضتان: ظاهرة تسعى إلى تركيز السلطة وبقاء الوحدة وظاهرة تعمل على الانفصال الإقليمي مستغلة أوضاع الشعوب المتدهورة، انتهى الأمر إلى انتصار النزعة الانفصالية التي مهدت لقيام الدول الانفصالية[4].

شكلت حركة الزنج[5] التي قامت عام(255هـ/869م) مرحلة حاسمة في تاريخ الدولة العباسية، إذ أضحت القوى الإنفصالية قوية جدا بحيث أدت إلى تفككها وجاء وقت حكمها كل عنصرية نفسها بنفسها، إستوعبت الخلافة في جانب هذه الظاهرة فحرصت على التوفيق بين نزعات الشعوب لكنها عجزت عن تحقيق التوازن بين القوى المركزية في بغداد و بين القوى اللامركزية في الأقاليم[6].

العصر العباسي الثالث (334-448هـ/947-1055م): ابتدأ هذا العصر أثناء خلافة المستكفي وانتهى أثناء خلافة القائم وتميز بارتباطه تاريخ البويهيين الذي كانوا أصحاب النفوذ الحقيقي والسلطان الفعلي في العراق، ولم يكن للخليفة إلا

---

[1] المتوكل : أبو جعفر المتوكل بن المعتصم (822م_861م)وفترة خلافته (847_861م)أمه أم ولد وهو الخليفة العباسي العاشر، ينظر: حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، السعودية، 2004، ط2، ص188.

[2] المستعصم: أبو المجيد المستعصم بالله عبد الله بن منصور المستنصر الله حكم (656هـ_1258م)، آخر خليفة عباسي في بغداد، قتل معدما على يد هولاكو، ينظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص199

[3] حسن إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام ،دار الفكر المصرية ،القاهرة ، د.ت، د.ط ، ص288

[4] سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية مصر والشام، دار النفاس، 2008م، ط2، ص188.

[5] حركة الزنج: هي ثورة اشتعلت في عهد الخليفة المعتمد وكان قوامها الارقاء الزنوج الدين استقدموا من شرق افريقيا ليعلموا في سبائخ الملح من منطقة البصرة والطبائخ والاهواز وفي جنوب العراق وهي ثورة عرقية كان قائدها رجل فارسي يقال له علي بن محمد ظلت مشتعلة 14عاما، ينظر:الحموي، المصدر السابق، ج1، ص153.

[6] سهيل طقوش، المرجع السابق، ص189.

اسم، وأضحى كأنه موظف عندهم تناول منهم ويقيم به وليس له حق التصرف في أي أمر من أمور الخلافة دون الرجوع إليهم واخذ موافقتهم.

لقد فقد الخليفة نفوذه في هذا العصر يؤمر فيتأمر ويفعل ما يطلب منه وليس له عليهم من سلطان ديني لمخالفتهم له في المذهب فكانوا شيعة غلاة، إنما ارتضوا ببقاء منصب الخلافة خدمة لأغراضهم.

فقد وصف البيروني أوضاع العباسيين في أيام بني بويه "وإن الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام الملتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس إلى آل بويه والذي بقي في أيدي الدولة العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملك دنيوي"[1]

فظهرت في المشرق: الدولة الطاهرية[2] (205-259هـ/820-873م) والدولة الصفارية[3] (253-297هـ/768-911م)، والدولة السامانية[4] (261-389هـ/820-905م) ثم ظهرت في مصر والشام: الدولة الطولونية[5](256-292هـ/868-905م) والدولة الإخشيدية[6] (323-

[1] البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، الاثار الباقية على القرون الخالية، ليبنرك، 1887،، د ط، ص 132.

[2] الدولة الطاهرية: (205_259هـ) مؤسسها الطاهر بن الحسين ظهرت في ولاية علي بن عيسى علي خراسان، ينظر: أحمد محمد عدوان، موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1990م، د.ط، ص92.

[3] الدولة الصفارية: سلالة أصلها من حضارة الساس وهي حضارة قديمة، حكمت (254_296هـ) نسبت إلى ليث بن الصفار، غلب عليها الطابع العسكري، ينظر: أحمد محمد عدوان، المرجع السابق، ص160.

[4] الدولة السامانية: (261هـ-399هـ) مؤسسها سامان بن بهرام جولين الفارسي الأصل بلغت أوج قوتها في عهد إسماعيل بن أحمد ساعدوا الخلافة العباسية في إخماد الثورات ثم وليت إلى أحمد بن اسد كان مرسوم ولايتهم يصدر من خراسان، ينظر: عطية القوصي، تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة،1993م، د.ط، ص 58.

[5] الدولة الطولونية: تنتسب إلى مؤسسها أحمد بن طولون، كان والده من الاتراك ببلاد ما وراء النهر في عهد المعز أختير أحمد بن طولون ليحكم مصر، ينظر: مؤلف مجهول، بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، د.ت، د.ط، ج1، ص45.

[6] الدولة الإخشيدية: أصلها تركي مؤسسها محمد بن طغج الإخشيد الذي برز أثناء غزو العبيديين ثم منح لقب الإخشيد طلبا منه، ينظر: نفسه، ص.60

358هـ/935-969م)، تبقى مناطق الثغور كوحدات تقوي وتضعف وفقا لتطور العالم الإسلامي، فقامت الدولة الحمادانية[1] في مناطق الثغور الشامية الجزرية ولما اضطربت أحوال الخلافة العباسية بعد وفاة الخليفة المقتدر[2] اتخذ عبد الله المهدي من ذلك فرصة سانحة لمعاودة فتح مصر ، فاتفق مع أبي طاهر الجنابي[3] على إثارة الاضطراب في بلاد المشرق في الوقت الذي تزحف فيه جيوشه[4].

كانت أوضاع الخلافة مع السلاجقة أفضل منها مع بني بويه لأنهم لم يكن خلفاء خلال هذا العصر على نمط واحد من القدرة والتصرف فإنهم شرعوا يستردون بعض نفوذهم الفعلي واستعادوا نفوذهم منذ عهد الناصر واستقلوا بحكم العراق، لم يخضعوا فيها لأي سلطان إلا ان قام المغول بتحركهم الواسع منطلقين نحو الغرب يحتلون الممالك ويدمرون المدن حتى وصلوا إلى بغداد فاحتلوها وأسقطوا الخلافة العباسية. وظهر عنصر جديد وهو العنصر التركي وانتقال الخلافة من المركزية إلى لامركزية في نظام الحكم نتيجة قيام دول منفصلة إما انفصالا تاما كاملا أو ذاتيا مع الاعتراف بسلطة الخليفة.

وكان الفرس قد نقلوا نشاطهم إلى الشرق بعدما تغلب نفوذ الأتراك ونجحوا في اقامة دولة انفصالية في بعض أقاليم الدولة العباسية[5] .

---

[1] الدولة الحمادانية: ينتسب الحمادانيون الى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب العربية التي أقامت في ضواحي الموصل و أسسوا دولة لهم(313هـ/929م) على يد عبد الله بن حمدان و دولة من حلب (333هـ/996م) على يد علي ابن عبد الله الملقب ب سيف الدولة، ينظر: نفسه، ص88.

[2] الخليفة المقتدر: أبو الفضل المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق أحمد المتوكل ولد في 282هـ، أمه اسمها شغب وهو الخليفة العباسي الثمن عشر (295_320هـ/908_932م)، ينظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص200.

[3] ابي طاهر الجنابي: هو أبو الطاهر سليمان بن الحسن القرمطي الأعرابي الزنديق جاء مكة سنة317هـ ,ودخل المسجد الحرام فقتل واستباح الحجاج ,أصيب بالجدري حتى أصبحت أطرافه تتآكل طرفا طرفا وتتقطع أمامه حتى مات ،أنظر: عمر فوزي ،دراسات في التاريخ الاسلامي ،الاردن ،2006 ،ط1 ،ص183.

[4] جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص60.

[5] سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، 1997، ط1، ص ص 34-35.

ظهر خلال العصر العباسي الثالث الأمراء البويهيون[1] الذين مثلوا حركة شيعية زيدية فأسسوا إمارات انفصالية في فارس والعراق والاهواز وكرمان واصفهان وهمذان فشاركوا الخلافة العباسية في حكمه وأصبحت أمور الدولة كلها في أيديهم و غدى تنصيب الخلفاء وعزلهم وقتلهم طوع رغبتهم[2].

في الخارج تفاقم خطر بيزنطة[3] التي هددت العباسيين والحمدانيين منذ منتصف القرن 4هـ في شمال العراق وبلاد الشام واستولوا على حلب (351هـ/962م) في عهد الإمبراطور نقفوفوقاس[4] ثم إستولوا على المصيصة[5] وطرطوس[6] في عام (355هـ/966م) وعلى أنطاكية وقسما من بلاد الشام، توغلوا في هذه البلاد في

[1] البويهيون: الشيعة سيطروا على بغداد بعد الاتراك ولم يكونوا أحسن حالا من سابقيهم حاواو فرض المذهب الشيعي على الدولة العباسية في ولاية المستكفي، ينظر: الحموي، المصدر السابق،ج3 ،ص178.

[2] سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، 1997م، ط1، ص223.

[3] بيزنطة: هي إمبراطورية مسيحية إمتدت من العصور القديمة وحتى العصور الوسيطة، تمركزت في القسطنطينية، سقطت على يد العثمانيين سنة 1453م، ينظر: الحموي، المصدر السابق،ج6، ص602.

[4] الإمبراطور نقفو فوقاس: ينتمي نقفو إلى أسرة فوكاس، وهي إحدى الأسر الإقطاعية الكبرى، وقد عمل معظم أفراد هذه الأسرة بالعمل العسكري سمي نقفو نسبة إلى جده الذي خاض حروبا ضد الإمبراطور بازيل الأول 867م وهو قائد بيزنطي وصل إلى العرش بعد وفاة رومانوس الثاني (963/959)، ينظر: trans, by joha n husy,1968, ostrogosky ,history of the byzantine state, .pp 284_285

[5] المصيصة: مدينة على شاطئ نهر جيجان من ثغور بلاد الشام بين أنطاكية و بلاد الروم تقارب طرطوس، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص145.

[6] طرطوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، ينظر: الحموي،المصدر السابق، ج6، ص28

عهد الإمبراطور زمسكيس[1] فاستولوا على الرها[2] ، ديار بكر[3]، ميافارقين[4]، نصيين[5].

2-أوضاع مصر الخارجية والداخلية:

كان عبد الله المهدي يطمح أن يتخذ مصر قاعدة يوجه منها حملاته إلى بغداد للقضاء على الخلافة العباسية المتداعية، لذلك وجه نشاطه على إثر تأسيس خلافته بالمغرب إلى وضع الخطط لغزو مصر، وقد ساعدته أوضاع مصر فقد شهدت مصر وبلاد الشام ثورات عاتية بعد نجاح محمد بن طغج الإخشيد[6] في الاستقلال بمصر وبلاد الشام(328هـ/939م) وأسس الدولة الإخشيدية وكانت الخلافة العباسية آنذاك تشهد تطورات سريعة بفعل الصراع من أجل الحصول على منصب أمير الأمراء[7]، الذي فاز به محمد بن رائق(326هـ/938م)[8] وقد تطلع إلى الاستيلاء على مصر وبلاد الشام ليعوض بهما عن خسارته وتمكن من الحصول على تقليد من الخليفة الراضي بحكم حلب وأعمالها[1].

---

[1] الإمبراطور زمسكيس : المعروف بيوحنا زمسكي إمبراطور بيزنطي حكم (925_976م) كان له قدرات عسكرية مكنته من توسيع حدود إمبراطوريته في فترة قصيرة، ينظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص210.

[2] الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستت فراسخ، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص6.

[3] ديار بكر: بلاد كبيرة واسعة تنسب الى بكر بن وائل، وحدها ما غرب من دجلة الى بلاد الجبل المطل على نصيين الى دجلة، ومنه حصن كيفا و أمد وميافارقين، ينظر: نفسه، ج2، ص494.

[4] ميافارقين: اشهر مدينة في ديار بكر، ينظر: نفسه، ج5، ص238.

[5] نصيين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام، نفسه، ج5، ص288.

[6] محمد بن طغج الإخشيد: أبو بكر بن بلكين بن فوران بن فوري بن خاقان الفرعاني الأصل صاحب سرير الذهب المنعوت بالإخشيد صاحب مصر والشام والحجاز نجح مع الفاطميين وعقد هدنة معهم ووصل إلى منصب الولاية، ينظر: شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1397هـ، د.ط، ج5، ص56.

[7] كمال الدين ابن العديم، زبدة حلب من تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، دمشق، 1998 م، ط1، ص103

[8] محمد بن رائق: والي أمر دمشق قدمها سنة327هـ اخرج منها بدر عبد الله الإخشيدي ثم توجه إلى مصر وتواقع مع محمد بن طغج الاخشيد فهزمه الإخشيد فرجع إلى دمشق ثم توجه إلى بغداد وقتل بالموصل 330هـ على يد ناصر الدولة الحسن، ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح: صلاح المنجد، دمشق، 1954م، ط2، ص118.

لا شك بأن الخليفة كان يرى في هذا التقليد تحقيق مصلحة العباسيين القائمة على زرع بذور التفرقة بين الولاة، تعبيرا عن رغبة الخلافة في ألا تسمح بقيام نفوذ في بلاد الشام ومصر يمكن ان يهدد مصالحها[2]، يبدوا لم يكن يطمئن غلى وجود الإخشيديين في المناطق القريبة من العراق على الرغم من موقف الحسن لمحمد بن طغج الإخشيد الذي يخدم المصالح العباسية، ولا يستبعد أن تكون الخلافة قد وجهت ابن رائق الى بلاد الشام لينافس الإخشيديين ويحد سلطتهم ونفوذهم[3]

ما إن تسلم ابن رائق منصبه الجديد حتى طمع في بلاد الشام كلها، راح يتدخل في شؤون الإخشيديين، وعلى الرغم مما أظهره محمد بن طغج من قلق واستياء إلا أنه سلك معه مسلكا حسنا وحاول استرضائه[4].

يبدوا أن ابن رائق لم يخف نواياه التوسعية، فتقدم إلى جنوب بلاد الشام وإستولى على حمص ودمشق، ثم سار إلى العريش[5] في محاولة لدخول مصر وهناك اصطدم بالقوات الإخشيدية في عام (328هـ-940م) لكنه هزم و تمكن من النجاة[6]

أراد محمد طغج الإخشيد على الرغم من انتصاره، تغليب المصلحة العامة للمسلمين على مصلحته الخاصة مقدرا ظروف الخلافة العباسية المتدهورة والتهديد المستمر لدولته من جانب الدولة الفاطمية، ومن جهة أدرك ابن رائق أن الموقف يقضي بالعودة إلى العقل والدخول في الصلح، وعقد الصلح بين الجانبين وقد تضمن

---

[1] ابن العديم، المصدر السابق، ص103.

[2] سهيل طقوش، تاريخ الفاطميون ، ص180.

[3] نفسه، ص180.

[4] محمد احمد، العلاقات بين الشام ومصر في العهد الطولوني والاخشيدي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، د.ط، ص292.

[5] العريش: مدينة كانت اول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم(البحر المتوسط) في وسط الرمل، ينظر: الحموي، المصدر السابق،ج4، ص113-114.

[6] ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، تح: زكي محمد حسن حسن واخرون، القاهرة، 1953م، د.ط، ص 184.

أن يتخلى ابن طغج لابن رائق على الأراضي الشامية الواقعة شمال الرملة[1] وتعهد أن يدفع له مبلغ مائة وأربعين ألف دينار سنويا[2].

بعد عامين من إبرام المعاهدة، قتل ابن رائق عام (330هـ/942م) على يد ناصر الدولة الحمداني[3]، فانتهز محمد بن طغج هذه الفرصة وسيطر على الشام دون مقاومة، وتقدم شمالا حتى جاور الدولة الحمدانية، كما دخلت مكة والمدينة تحت سلطانه، وأضحى من أكبر القوى في العالم الإسلامي[4].

نتيجة للاشتباك في قنسرين[5]، هزم سيف الدولة و دخل الإخشيد حلب واسترد دمشق لكنه آثر مجددا، تغليب المصلحة العامة للمسلمين فعقد صلحا مع سيف الدولة تنازل له بموجبه عن حلب وشمال الشام[6]. ويبدوا أن ابن طغج الإخشيد أدرك ضرورة وجود قوة إسلامية في شمال بلاد الشام كقوة الحمدانيين، للتصدي للغارات البيزنطية على المناطق الإسلامية إضافة إلى أن الإخشيديين في مصر كانوا يقعون تحت ضغط خارجي كبير من جهة الفاطميين، كما أخذوا يواجهون بعض الحركات الاضطرارية في مصر[7].

توفي محمد بن طغج الإخشيد بدمشق شهر ذي الحجة 334هـ/ 946م قد أوصى بالملك من بعده لولديه الصغيرين أونجور وعلي، على أن يتولى غلامه

---

[1] الرملة: مدينة عظيمة تقع في جنوب فلسطين بينها وبين بيت المقدس إثنا عشر ميلا، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص421.

[2] ابن الأثير ، المصدر السابق، ج8، ص 86.

[3] أبو علي مسكويه، تجارب الأمم، القاهرة، 1919م، ط1، ج2، ص 28.

[4] ابن اثير ، المصدر السابق، ج8، ص 154.

[5] قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 404.

[6] جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، د. ت، د.ط، ج 3، ص 255.

[7] محمد الكندي، ولاة مصر، تح: حسين نصار، دار صادر، بيروت، 1959م، د. ط، ص295.

كافور[1] الحبشي الوصاية عليهما وفعلا حكما كافور مصر 22 عاما كوصي، حتى توفي كل من أونجور وعلي في عامي (349هـ/960م) و (355هـ/966م) استبد بالحكم واعترفت الخلافة العباسية به حاكما على مصر[2].

استطاع كافور خلال مدة وصايته أن يحافظ على تماسك الدولة ويدافع عنها ضد الأخطار الخارجية، فقد واجه الحمادانيين في الشمال وانتصر عليهم في معركة اللجون[3] كما تصدى لحركة القرامطة[4] بقيادة الحسن الأعصم بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي الذي هاجم طبرية[5] والرملة كما استمر الضغط الفاطمي ناشطا، وقفت سياسيته أن يبقي على حسن العلاقات مع الخلافة العباسية من ناحية ومع الفاطميين من ناحية أخرى، مما أخر الغزو الفاطمي لمصر عندما استقبل رسل المعز بدعوته للدخول في طاعته لاطفهم ولم يعطهم ردا حاسما[6].

أتاحت هذه الأوضاع السياسية القلقة الفرصة للمعز للتوجه بجيوشه للاستيلاء على مصر.

---

[1] كافور: 358هـ/968م: العبد الذي ترقى في حاشية الاخشيد ولاه علي بن الاخشيد و أصبح مربي ولديه وموضع ثقته، فكان بذلك المسؤول عن البلاد وإدارتها وضمان خراجها أمام الخلافة في بغداد طوال عهد أونجور وعلي الاخشديين، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص 99-100.

[2] الأنطاكي،المصدر السابق، ص70.

[3] اللجون: بلد بالأردن بينه و بين طبرية عشرون و إلى الرملة أربعون ميلا، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 13.

[4] حركة القرامطة: إحدى فرق الباطنية تنتسب إلى حمدان قرمط، كان لها دعاة منهم ابو الطاهر القرمطي وكان ابتداء أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة و هي من افتن الحركات التي ظهرت في العصر العباسي الثاني، ينظر: عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تح: محمد الحسن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت، د. ط، ص 248.

[5] طبرية: بليدة مطلة على البحيرة معروفة ببحيرة طبرية هي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، هي من أعمال اليمن في طرف الغمور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام و كذلك بينها وبين بيت المقدس، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 18.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 281.

ازدادت الحالة الداخلية خطورة حين وصلت الفوضى إلى مرحلة تعذر منها وجود وال أو أمير مدة شهر، بفضل عدم سماح كافور بتنصيب أحمد بن علي بن الإخشيد بعد وفاة أبيه متذرعا بصغر سنه[1].

شهدت مصر منذ عام 352هـ/963م حالة من الجفاف استمرت تسع أعوام سببها نقص فيضانات نهر النيل نتج عنها اختفاء القمح واضطراب الأسعار، وإزدادت أثمانها وكانوا يسقطون من الجوع و هلك الضعيف من الناس وأكلوا الميتة والجيفة وكانوا يحفر لهم حفرا و يرمون فيها عدة أيام و يردمون بالتراب[2] فقد استغل المعز هذه الأوضاع المضطربة للتوجه إلى مصر[3]، ويبدو أن المعز لم يتمكن من الانعتاق من السياسية الفاطمية العامة القاضية بتحقيق هدفين، الأول: السيطرة الكاملة على الحوض المغربي لبحر المتوسط ووراثة الأمويين في الأندلس، يتضح هذا من خلال بناء المهدية وإعادة بناء أسطول سوسة والحرص على تشديد قبضتهم على طرابلس و برقة و محاولتهم المستمرة لغزو الأندلس ومصر[4].

ثانيا: السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط عن طريق الإستيلاء على مصر ثم التدخل المباشر في التجارة الشرقية عن طريق البحر الأحمر واليمن بالإضافة إلى القضاء على الدولة العباسية ووراثتها [5].

---

[1] عماد الدين ادريس، عيون الأخبار وفنون الاثار السبعة، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، د.ت، د. ط، ج6، ص 136.

[2] تقي الدين المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، 1958م، د.ط، ص 12.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ص 186.

[4] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 283.

[5] نفسه ، ص 283.

3- تجهيزات الانتقال:

عندما أعلن المعز عن عزمه على التوجه إلى المشرق عبر مصر، لم يتخذ القرار إلا بعد أن استعد لذلك تماما وأمن الضمانات الكافية لنجاح مشروعه، و كان قد بلغ ذروة قوته فهو صاحب إفريقية و صقلية دون منازع، وأضحى نفوذه يضاهي الخليفة الأموي في قرطبة والإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية، تجاوزت شهرته الحدود الشرقية لمملكته وشجعته أوضاع المشرق عامة ووضع مصر خاصة، وبدأت استعدادات التجهيز للحملة سنة 355هـ/966م، وقد استفاد المعز من تجارب الماضي فحرص على تجنب ارتكاب الأخطاء نفسها، وانتهج أسلوبا مختلفا معتمدا على دعاته فيها الذين هيئوا الأرضية الداخلية كما كثف اتصالاته مع بعض أصحاب النفوذ فيها.

فأرسل قوة عسكرية استطلاعية إلى مصر في العام التالي، هاجمت واحة سيوة المصرية، ووقف أفرادها على مدى صلاحية الطريق التي ستسلكها الفرق العسكرية إلى مصر[1].

لما كانت مصر بعيدة نسبيا عن إفريقية، أمر المعز عامل برقة أفلح الناشب بحفر الآبار على الطريق بينها وبين تونس وتمهيدها لسير الحملات العسكرية بنى في كل منزلة بناء للإستراحة[2]، و بنى السفن اللازمة للمشاركة في الحملة لمساندة القوات البرية؛ و شهد بناء المهدية نشاطا كثيفا فبنى حسين بن يعقوب متولي البحر عشرة صنادل من القارب الكبير[3] وأجبر سكان بعض المدن المحصنة عن تزويد دار الصناعة بالخشب والعود[4] اتخذ المعز تدابير استثنائية لتأمين الأموال اللازمة للإنفاق على الحملة منها:

---

[1] جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 60.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص 96.

[3] العزيز الجوذري، المصدر السابق، ص 98.

[4] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 96.

– عين جوهر الصقلي[1] قائدا للحملة و متصرفا في أموال الدولة ومراقبتها في توفير الأموال اللازمة للإنفاق على الحملة، وأمر الاتصال بالكتاميين في القبائل الصغرى والمناطق الأخرى من المغرب، لحشد الجنود و جمع الضرائب المفروضة على البربر ولم يرجع جوهر إلا في شهر محرم 358هـ/ 968م مصحوبا بالرجال والأموال التي بلغت أربعة و عشرين ألف دينار[2].

ذهب المعز بنفسه إلى المهدية، وجلب من قصر أبائه خمس مائة حمل من الذهب[3].

– عين نصير الصقلبي الخازن بالمنصورية عاملا على طرابلس، فأمن له مبلغا كبيرا من مداخيل الجباية للإنفاق على الأسطول وبحارته[4] وساهم الحاجب جوذر مساهمة فعالة في هذا المجال فدفع لخزينة الحرب كل ما توفر عنده من حسن نظره في شيء باعه من الخزائن واستخرج بقايا أموال الجباية، كان مبلغ ذلك مائة ألف دينار وإثنين وعشرين ألف درهم[5].

بعدما أمن المعز الأموال اللازمة للحملة، جند أعدادا هائلة من أنصاره من القبائل البربرية، خاصة من كتامة وزويلة والصقالبة بلغ عددها مائة ألف مقاتل[6].

عسكر هذا الجيش في رقادة تمهيدا لإنطلاق لوجهته ثم تفقد المعز هذا العسكر واستعرض الجيش ومنح أفراده رواتبهم التي تراوحت بين ألف دينار وعشرين

---

[1] جوهر الصقلي: ت 381هـ/ 992م، قائد فاطمي سبي مملوك للقيروان فتح مصر في ولاية المعز لدين الله و بنى القاهرة و سماها المنصورية من مآثره بناء الجامع الأزهر الشريف، ينظر: تقي الدين المقريزي، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، نش: مسيو جاستون فيت ، بولاق، القاهرة، 1911م، ط1،ج1، ص 377.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفاء،ج1، ص 98.

[3] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 70.

[4] العزيز الجوذري، المصدر السابق، ص 119.

[5] نفسه، ص 93.

[6] عماد الدين ادريس، المصدر السابق،ج6، ص 138.

دينارا تبعا لرتبهم، لحثهم على التفاني و قدم جوهر الصقلي لقيادة حملته وفوضه بسلطات عسكرية وسياسية ومالية مطلقة[1].

عاد المعز إلى المنصورية واستدعى عددا من شيوخ كتامة، وأمرهم بالتزام الهدوء بعد خروج الجيش وبشرهم بفتح المشرق وخاطبهم قائلا:" نحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم و عقولكم، واعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب"[2].

ولعل جملة ما أنفقه المعز على تجهيز الجيش من عدة وعتاد ما هو إلا دليل على أهمية ما هو مقدم عليه.

[1] عماد الدين إدريس،المصدر السابق،ج6، ص 138.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص 95-96.

المبحث الثاني: شخصية جعفر ابن فلاح الكتامي

برزت شخصية كتامية في ميدان القيادة في بلاد المغرب إلا أن الرواية التاريخية إنحازت وراء جوهر الصقلي وأهميته دون غيره خاصة الذين كانوا بارزين مثله وظهر فجأة مع انه لم يصل إلى مستواهم في القوة والعصبية .

1- الإسم والنسب :

جاء في أغلب المصادر التي أشارت إليه إسما مختصرا أي على النحو التالي (جعفر ابن فلاح الكتامي)[1]، يضيف بعضها اليه كنية: أبي علي إشارة الى أحد أبنائه بهذا الإسم؛ بينما تذكر بعض النصوص كنية أخرى لهذا القائد وهي أبو الفضل[2]، كان له دور مشهور في مصر والشام في العصر الحاكم بأمر الله[3].

تشير بعض النصوص إلى جد القائد جعفر وهو أبو مرزوق فيكون إسمه أبو علي جعفر بن فلاح بن أبي مرزوق الكتامي[4].

2- الحياة والنشأة :

أغلب المصادر التاريخية التي تشير إلى هذه الشخصية لم تفدنا بشيء ينير السبيل حول نشأته وحياته عند ظهور الحركة الإسماعلية في منطقة كتامة وإفريقية ولا عن نشاطه في خدمة الدولة الفاطمية قبل اشتراكه في الحملة الكبرى ضد مصر الإخشيدية (358هـ /968م) فلم نصادف إشارة اليه ضمن قادة كتامة في بلاد

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 315.

[2] محمد ابن الأبار، الحلة السيراء، تح : حسين مؤنس، القاهرة، 1963م، د.ط.، ص 434.

[3] الحاكم بأمر الله : أبي علي المنصور ابن نزار بن المعز، ولد بالقاهرة المعزية في 23 جمادى الاولى 375هـ وامه ام ولد وهي جارية رومية نصرانية، تولى الخلافة دون 12 سنة، ينظر : محمد عبدالله عنان، الحاكم لأمر الله واسرار الدولة الفاطمية، دار الرفاق، القاهرة، 1983، ط3، ص 86.

[4] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل جعفر بن فلاح بن ابي مرزوق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م د.ط.، ص 14.

المغرب الذين اشتركوا الى جانب جوهر الصقلي أثناء حركته الكبرى(347هـ/ 959م)[1].

بالرغم من الفاصل الزمني بين الحملتين يبدوا قصيرا نسبيا (11 سنة) ربما يكون جعفر صغير السن يشق طريقه في الظهور الميداني السياسي تدريجيا[2]، يبدو أن وجود مجموعات كتامية في مصر ساعد على ظهوره كقاعدة لبني قومه الذين كان دورهم البطولي إلى جانبه في بداية ظهور حركة المقاومة عند منية شلقان[3]، دورا مشرفا كان من بين قادة الدولة ورجالها في بلاد المغرب لكنه لم يلق العناية التي يستحقها لاعتبارات خاصة لأنه من غير المعقول أن يظهر فجأة في قمة الميدان السياسي والعسكري[4] مساعدا مباشرا لجوهر في قيادة أضخم الحملات وأساسا ترتكز عليه جهود الفاطميين في مصر ثم في بلاد الشام ، إذا لم يكن المعز قد عرفه من قبل معرفة جيدة وخبرته في ميدان القيادة فتبينت له قدراته ومهاراته في الحرب وإخلاصه للنظام والتزامه سياسة التوسع لإيجاد مناطق نفوذ الفاطمي في بلاد المشرق والمغرب[5].

3- مسؤولية جعفر في مصر :

كانت أهميته في المغرب لا تقل عما أداه من خدمات للدولة الفاطمية في ميدان المشرق وهو من بين الرعيل الأول للجيل الذي أشرف المعز لدين الله على تربيته وتكوينه من أبناء كتامة وشبابهم، ويؤكد على ذلك مجموع من الاعتبارات في مقدمتها[6]:

---

[1] موسى لقبال، دور كتامة، ص 485.

[2] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص 15.

[3] تعرف اليوم باسم شلقان وهي قرية شرقي القناطر الخيرية بمركز قيلوب. ينظر: يحي بن سعيد الانطاكي، صلة تاريخ اوتيخا، تح: عمر عبد السلام، تدمري، 1990، ج1، ص 131.

[4] موسى لقبال، دور كتامة،ص 486.

[5] نفسه، ص 486.

[6] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص 17.

أ- كان ابن فلاح أحد الجعفريين الذين مدحهم إبن هانئ شاعر معز لدين الله لقوله[1]:

كَانَتْ مَسألَةُ الْرُكْبانِ تُخبِرُنِي عَن جَعفَرِ بنُ فَلاحٍ أطيُبُ الخَبرِ

حتَى إلتقينَا واللهِ ما سمعتْ اذنِي بأَحسنِ ممَا قدْ رأَى بَصَرِي.

بما أن هانئ قد قتل غيلة في برقة ، أي لم يقدر له الإلتقاء بابن فلاح في مصر لأنه لم يصل إليها، فالمؤكد أن مدحه له قد تم في فترة مبكرة في بلاد المغرب دليلا على ظهوره في الميدان العسكري والسياسي كشخصية قوية ، موجهة في عصر المعز، أي قبل أن يشترك في المجهود الحربي لمصر والشام.[2]

ب- مركز جعفر في قيادة الحملة ضد مصر كان يلي مباشرة مركز القائد الأعلى وهو جوهر، لذلك وقع عليه الإختيار ليقوم دون غيره بأكبر دور ضد الكافورية والإخشيدية التي تجمعوا لمقاومة عبور رجال الحملة إلى الجانب الآخر من نهر النيل[3].

واعترف القائد جوهر بأهمية إشتراكه في الحملة ودوره الإيجابي ولمح إلى دواعي إختيار المعز له دون غيره إذا خاطبه بقوله: " لهذا اليوم أرادك المعز لدين الله ..".[4]

ج- إنتدب جعفر مرة أخرى لكي يتتبع غلول الكافورية والإخشيدية، ويضم بلاد الشام إلى النفوذ الفاطمي ، فهذا يعني أن جوهر يثق في قدرته على فتح قطر متسع كبلاد

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 311.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ص 335.

[3] موسى لقبال، ملحمة ابي الفضل، ص 19.

[4] النويري، المصدر السابق، ص 42.

الشام وعلى ضمه والوقوف حارسا أمينا له ولمصر، من بقايا العناصر السلطة القديمة ومن أطماع القرامطة وتطلعات العباسيين ومن غارات الروم البيزنطيين [1].

د- رغم المنافسة القوية التي كانت بين القائدين، مثلت أحد العوامل لترشيح جعفر لمهمة فتح الشام إبعادا له عن مصر واملا في أن يحطم كبريائه[2]، حرص جوهر على إرضاء مساعده ومشاركته عاطفيا قد حضر جنازة أحد أبنائه وهو أبو الفضل كما حضرها كبار قادة من الكافورية والإخشيدية اعتبارا لشخصيته[3].

هـ- لم يكن جعفر في مستوى القيادة وعلى درجة لا تقل عن قيمة جوهر ما تطلبت نفسه إلى الرئاسة العليا وإلى الاستقلال بالتدبير في ميدان الشام عن التبعية لجوهر في مصر، فحرص على الاتصال مباشرة بالخليفة في المنصورية دون وساطة الجوهر في القاعدة[4].

سار المعز في خط معين لم يتزحزح ومن ثم كره تصرفات جعفر ووقوعه في طريق جوهر فسارع إلى رد رسائله إليه ولامه وحثه على احترام السلمية وعلى الكتابة إليه عن طريق القائد الأعلى أوضح له حسن التدبير ما يقتضي استفساد قلب جوهر مع اخلاصه للنظام وثباته على العهد [5] لقوله : " وقد أخطأت الرأي لنفسك نحن أنقذناك مع قائدنا جوهر فأكتب إليه فما وصل منك إلينا على يده قرأناه ولم نتجاوزه بعد ...".[6]

---

[1] أبو المحاسن، المصدر السابق، ج4، ص31.

[2] علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله، القاهرة، 1963م، ط2، ص39.

[3] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص 20.

[4] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص 118.

[5] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص20.

[6] المقريزي، الخطط ، ج1، ص 378.

التزم الخليفة بالمبدأ الذي رسمه من قبل وهو إضفاء كل الأهمية على قائده جوهر وفي نفس الوقت أرضى خاطر جعفر بتمجيد دوره[1]وخاطبه بقوله : " فلسنا نفعل ذلك على الوجه الذي أردته وإن كنت أهله عندنا"[2].

و- بقاء الجفاء بين القائدين لم يطلب جعفر نجدات من جوهر كما لم يبق الأخير لمساعدته عندما لاحت الأخطار من جانب القرامطة[3] .

تخادل كتامة بمثابة الثأر الذي استوفاه رجال هذه القبيلة من جوهر لموقفه المعادي لأكبر قادته في الشام كان إبعاده تدريجيا عن مركز النفوذ بعد سنة (364هـ/975م) تدبيرا سياسيا خاصا قصد به ترضية أسرة ابن فلاح، التي استاءت من موت رئيسها في ظروف محزنة[4].

أدرك هذه السياسة جوهر معبر عنها في قوله للحسن بن علي الكلبي: " لكل زمان دولة ورجال، أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا"[5].

[1] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص 21.

[2] المقريزي، الخطط ، ج1، ص 379.

[3] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص 21.

[4] موسى لقبال، دور كتامة، ص 488.

[5] المقريزي، الخطط، ج1، ص 379.

الفصل الثاني : الدور السياسي والإداري لكتامة في مصر على العهد الفاطمي

- المبحث الأول: في نظام الحسبة والإدارة المالية
- المبحث الثاني: في نظام الوزارة
- المبحث الثالث: ولاية حكم الأقاليم

المبحث الأول: في نظام الحسبة والإدارة المالية

تنقسم وظائف الدولة الفاطمية كغيرها من الدول الإسلامية الأخرى إلى وظائف الأقلام ووظائف السيوف، فيجمع القسم الأول النظم الإدارية والدينية ويشمل القسم الثاني الإدارة الدينية والنظم الحربية، وإن لم يوجد حد فاصل بين الوظائف الدينية والإدارية لأن السواد الأعظم من الموظفين إداريين ودينيين كانوا يمارسون النوعين دون تفرقة.

النظام الإداري في مصر أيام الفاطميين هو الميراث المباشر للنظام الإداري العباسي الذي يمتد إلى النظم الادارية في القرون السابقة [1]، فقد تأصلت هذه النظم حتى مجيئ الفاطميين في عهد الدولتين الشبه المستقلتين: الطولونية والإخشيدية اللتين أبقتا على النظم العباسية، غير أن الفاطميين استقلوا بمصر استقلالا تاما، فقد كان حكامها حتى ذلك الوقت ولاة معينين من قبل الخلافة العباسية أما الآن فقد أصبحوا خلفاء ومنافسين لخلفاء بغداد فصارت القاهرة عاصمتهم و مركز بلاطهم.

في الواقع أن النظم الإدارية بقيت كما كانت في السابق محافظة على طابعها السني الذي أثر في البلاد و تأصل فلم تعد تتأثر بمبادئ الدولة الجديدة، هذا إن النظم الإدارية في ذاتها غير قابلة بطبيعتها لتأثير العقيدة[2].

لكن الفاطميين ولاريب عملوا على زيادة تركيز زمام السلطة الإدارية في أيديهم لإستكفاء مصالح حكومتهم المستقلة إستقلالا تاما ومصالح إمبراطوريتهم الواسعة

[1] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق،ج1، ص94.

[2] نفسه، ج1، ص95.

فأصبحت السلطة الإدارية في القاهرة لها إشراف على كل ما يمس البلاد وإدارة الخلافة[1].

وهكذا كان النظام الإداري أيام الفاطميين شديد المركزية وتدار شؤونه في القصر[2].

لم يترك الفاطميين في بدء حياتهم في مصر فرعا من فروع الإدارة المدنية والعسكرية دون أن ينتدبوا للإشراف عليه عناصر من بين كتامة او غيرهم من المغاربة[3]، ويحدثنا المقريزي بأن القائد جوهر عند وصوله إلى مصر لم يدع عملا إلا جعل فيه مغربيا شريكا له[4].

فكان المغاربة خصوصا الكتاميون[5] منهم يشتركون مع المصريين في إدارة البلاد ولعل الفاطميين أظهروا عطفهم عليهم في حين لم تكن الدولة قد إستقرت بعد في مصر، خصوصا بعد إسهامهم بنصيب وافر في قيام دولتهم بإفريقية فكانوا بذلك رجالا مخلصين لها، ولخوف الفاطميين من ثورات الكتاميين التي عرفت بالشدة والقوة في الوقت الذي كانوا هم عصبية دولة قوية فلم يجد الفاطميون رجالا أكفاء غيرهم لعدم معرفتهم وثقتهم بغيرهم.

---

[1] المقريزي، الخطط، ج1، ص426.

[2] نجد ان دواوين القاهرة نقلت ثلاث مرات من القصر الى دور الوزراء في أيام الوزير ابن كلس والوزير العزيز وفي أيام المسعود الطاهر الوزان الذي تولى وساطة الخليفة الحاكم و نقلت الدواوين الى دار الملك ثم عادت الى القصر في كل مرة بعد موت الوزير، ينظر: ابن منجب الصيرفي، الإشارة الى من نال الوزارة، القاهرة، 1924م، د.ط، ج1، ص33.

[3] موسى لقبال، دور كتامة، ص492.

[4] المقريزي، الخطط، ج1، ص427.

[5] ينظر الملحق رقم07، ص 96.

كانت الإدارة في عهد الفاطميين تدار كما كانت سابقا بواسطة الدواوين[1] التي كان يطلق على وظائفها اسم الوظائف الديوانية؛ كما في عهد الوزير ابن عمار الذي تولى في (386هـ/996م) وساطة الحاكم حيث ادخل برابرة كتاميين في دواوين الإدارة كفل لهم الوظائف الأساسية حيث تمكن بواسطتهم من السيطرة على البلاد[2].

1_عسلوج بن حسن الدنهاجي وسياسته الإدارية:

كان من بين من تولى الإدارة المالية ابن كلس[3] بالاشتراك مع عسلوج بن حسن الدنهاجي[4] حتى محرم 364 هـ حينما أفردت بوال مستقل من كتامة هو عبد الله بن ذلال كما وليها من بعد حميد بن مفلح[5] في عصر العزيز، وردت في سنة383هـ/994م إلى الوزير النصراني ضمانا وقبالة وفي414هـ/1024م ولاها داوود بن يعقوب الكتامي مع الأسواق والسواحل[6] فنزل الى مجلس الحسبة

---

[1] الدواوين: كلمة من اصل فارسي مفردها ديوان، اتخذتها الإدارة الإسلامية منذ نشأتها لتدل على سجلات الدخل والخروج، وفيما بعد عن المكان الذي يعمل فيه أرباب الوظائف المالية وأخيرا أطلقت على جميع فروع الإدارة، ينظر: عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ج1، ص96

[2] موسى لقبال، دور كتامة، ص492.

[3] ابن كلس: هو كاتب يهودي اتصل بخدمة كافور الإخشيدي ثم أسلم وأصبح وزير الخليفة العزيز الفاطمي، ينظر: الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص49.

[4] عسلوج بن حسن الدنهاجي: أحد رجالات كتامة العظام ولاه المعز لدين الله أمر البلاد مع يعقوب بن كلس، ومنها الخراج وجميع وجوه المال وكتب لهم سجل قرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون، أنظر أحد رجالات كتامة العظام ولاه المعز لدين الله أمر البلاد مع يعقوب بن كلس، ومنها الخراج وجميع وجوه المال وكتب لهم سجل قرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون، أنظر .أحد رجالات كتامة العظام ولاه المعز لدين الله أمر البلاد مع يعقوب بن كلس، ومنها الخراج وجميع وجوه المال وكتب لهم سجل قرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون، ينظر: جمال الدين إبن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تح: مصطفى السقا، كامل المهندس، دار أهل الأثر، 1969م، ص127 .

[5] حميد بن مفلح: هو القائد أبو صالح مفلح الخادم المعروف باللحياني أتى دمشق وأصبح واليا عليها، ينظر: حمزة بن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق: تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1983م، ط1، ص78.

[6] السواحل: كانت ضمن موارد الدولة، تعرف بأنها كانت تؤدى في الثغور الساحلية مثل: الإسكندرية يذكر بأن لها ديوان خاصا بجبايتها هو ديوان الثغور، ينظر: أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، د.ت، ط1، ج3، ص495.

في مصر و دبر الأسعار عوضا عن سلفه.

وأثناء حكم ابن كلس مع الحسن الدنهاجي الكتامي فكان نظرهما يتضمن الخراج والضياع والأحباس وجزية أهل الذمة والمواريث[1] وبسبب سياسة الخراج والضبط عرف مقدارا دخل الضياع، كما راقب العمال والمتقلبين واشتد على المدينين للدولة وطبق بشدة سياسة الدولة اتجاه العملة وكانت نتيجة جهوده رغم إرهاق الناس وأعناقهم حسنة بالنسبة لخزينة الدولة فتوفرت الأموال وتنافس الملتزمون وكانت هذه الأموال تعويضا عمن فقدته الدولة من مبالغ مالية[2] لم يكن يعرف سرها غير المعز لدين الله وخازن بيت ماله محمد لب حسين بن مهذب؛ وقد استمرت الإدارة المالية بينه وبين ابن كلس حتى أواخر ذي القعدة364هـ وأثرها إنفراد عسلوج الكتامي بالديوان[3].

أما الحسبة فيقصد بها في العموم مراقبة السوق وهي وظيفة أصلها ديني من باب الأمر بالمعروف عندما يكون مهملا، والنهي عن المنكر عندما يكون علنا[4] وهذا الأصل له سند في نصوص القرآن فقد قال الله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر»[5].

فقبل مجيء الفاطميين كانت الحسبة تابعة لحسبة بغداد ولكن لما كان الفاطميون خلفاء مستقلين صارت القاهرة مقرا للحسبة الفاطمية وأصبح لمتوليها حق استخدام النواب عنه بمصر و جمع أعمال الدولة كنواب القضاة[6] كان المحتسب كغيره من أرباب الوظائف الكبار توليه السلطة العليا منصبه فكان يعين بسجل[7] على

---

[1] الدواداري، المصدر السابق، ص131.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص145-146.

[3] موسى لقبال، دور كتامة، ص494.

[4] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، دار يعرب، دمشق، 2004م، ط1، ج1، ص406.

[5] سورة آل عمران، الأية 104.

[6] المقريزي، الخطط، ج1، ص463.

[7] القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص378.

أساس أن سلطته مستمدة من سلطة الخليفة وغالبا كانت الحسبة تضاف إلى عمل بعض أرباب الوظائف القضائية مثل: صاحب الشرطة أو قاضي القضاة، ومنصب المحتسب في العصر الفاطمي وجدنا أنه يشمل نوعا من الحسبة المذهبية ذات طابع خاص فكانت بذلك أهم أعمال الدولة بعد القضاء والدعوة فكان يطالب من متوليها أن يكون عارفا بأحكام الشريعة وأصول المعاملات[1].

وتبين لنا النصوص بأن القائم على الحسبة له سلطة تنفيذية كقاضي القضاة ولكن العقوبات التي كان يصدرها تسمى التعزير ويشمل الردع والجلد والتشهير والتوبيخ والنفي والضرب[2].

وكما سبق أن ذكرنا بأن الفاطميين لم يتركوا عملا إلا وأشركوا فيه المغاربة على وجه الخصوص الكتاميين فلاحظنا وجودهم أيضا في الحسبة فقد تولاها الحسن الدنهاجي.

[1] المقريزي، الخطط، ج1، ص378.

[2] النويري، المصدر السابق، ص15.

المبحث الثاني: في نظام الوزارة

الوزارة نظام متعارف عليه في الدول الإسلامية في العصور الوسطى، وهي من أصل ساماني[1]، تعتبر أرفع المناصب وأسماها، وتسمى عند الفاطميين رتبة[2]، كلمة تطلق على الوظائف العامة التي كانت الوزارة واحدة منها وهي الرتبة في الدولة الفاطمية كما في غيرها من الدول الإسلامية تنقسم إلى نوعين:

وزارة القلم ووزارة السيف[3]، لكن الوزارة الفاطمية بتسمياتها المختلفة في ذلك العصر، كانت من مميزات هذه الدولة فالفاطميون هم الذين أجروا نظامها وقرروا قواعدها، فكانت الوزارة في أوائل عهد الدولة الفاطمية في مصر يعبر عنها بألفاظ خاصة، فقط أوجد الفاطميون ما يعرف برتبة "الوساطة"[4]، ولكن يتولاها الوسيط لأنه كان يتوسط بين الخليفة ورعيته[5].

يحدثنا المقريزي خاصا بالوساطة أنها كانت تصحب غالبا بما يسمى السفارة لتدل على رتبة من يقوم بتنفيذ رغبات الخليفة فكان في بداية عهده يفضل على تصريف الأمور يعتمد على وسيط وليس وزير[6] ولنفس الأسباب، كان الخلفاء الفاطميون يكلون أحيانا أمور دولتهم إلى موظفين في خدمتهم إلى كتاب عاديين دون أن يكون لهم لقب 'وسيط' أو حتى 'وزير' وإنما كانوا يلقبونهم بألقاب منها موقع[7] أو مدبر يكون لهم حق تصريف الأمور بعد الرجوع فيها إلى الخليفة.

---

[1] ابن خلدون، مقدمة، ج2، ص 05.

[2] المقريزي، الخطط، ج1، ص439.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص489.

[4] الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص 29.

[5] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص 81.

[6] المقريزي، الخطط، ج1، ص 439.

[7] الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص 25-26.

أما تسمية الوزير 'وزيرا' فإنها لم تظهر إلا في أيام العزيز (365-386هـ/985-996م)[1] ثاني خلفاء الفاطميين في مصر على الرغم من أنها كانت معروفة في عهدي الطولونيين والإخشديين قبل مجيء الفاطميين[2].

وإن كان اللقب لم يثبت إلا في عهد الظاهر، رابع خلفاء الفاطميين في مصر وقد وصل إلينا المعنى من هذه الكلمة (وزارة) في سجل تولية الجرجائي[3] الذي قام بوزارة الظاهر في سنة (418هـ/1028م)، فيبدوا أن أصلها مشتق من كلمة أزر أي ظهر وقوة، بمعنى أن الخليفة يعتمد في تصريف الأمور على الوزير، ووجد لهذا المعنى سند في القرآن[4]: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) ﴾ وقد وردت هذه الآية نفسها في سجل تولية الجرجائي[5].

علاوة على هذا تبدوا كلمة وزير في كتب مؤرخي العرب مشتقة من كلمة مؤازرة أي المعاونة، حيث أن الوزير يعاون الخليفة في أمره.

من جميع المعاني تتكون 'وزارة تنفيذ' أي الرتبة التي تشمل على جميع أمور المملكة وتؤهل متوليها وكان غالب من أرباب الأقلام للمكان الثاني مباشرة بعد

---

[1] جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1، ج2، ص 116.

[2] يذكر أن مصر كانت ولاية بلا وزارة أيام الطولونين، يذكر اسم محمد بن رستم المدرائي الذي كان وزير للأمير الطولوني، وفي أيام الإخشديين وهم الذين تولوا الحكم بعد الطولونين فكان أبا الفضل جعفر بن الفرات الذي كان وزير للإخشيد واستمر في الوزارة حتى وصاية كافور ولكن لما وصل الجيش الفاطمي، رفض جوهر أن يلقب ابن الفرات بالوزير فقال: "...ما كان وزير خليفة وإن كان بعد مضي 10 سنوات من حكمهم منح اللقب لإبن كلس الذي كان اول من لقب به، ينظر: نفسه، ج2، ص 116.

[3] الجرجائي: من قرية في العراق خدم في دواوين الفاطميين في عهد الحاكم الذي أمر بقطع يديه لعدم أمانته، وذل لإطلاعه على رسائل هذا الخليفة دون إذن وقد وزر الجرجاني بعد حاكم الظاهر والمستنصر ت (436هـ/1045م)، ينظر: الصيرفي، المصدر السابق،ج1، ص 35-38.

[4] سورة طه، الأية 29-32

[5] ابن القلاسني، المصدر السابق، ص81.

الإمام، فكان لهذا الأخير الإشراف على جميع تصرفات الوزير[1]، لكن بعد سنة (864هـ/1084م) وهي السنة التي قام بها بدر الجماني[2] بوزارة مصر، أخذت الوزارة معنى أخر غير الذي سبق.

لكن منذ بدر تحولت وزارة السيف إلى وزارة تفويض[3]، فكان الخليفة يفوض إلى وزيره جميع أمور الدولة لتصريفها، ولم يعد له أي سلطة على هذه الأمور، بل فكان الوزراء الفاطميون أشبه بأمراء القصر في عهد الدولة الميروفنجية، فيتدخلون في تولية الإمام وولي عهده[4].

لعل أهم ما يميز الوزراء في العصر الفاطمي هو أن الكثير من وزراء الفاطميين كانوا من النصارى واليهود والمغاربة مثل عيسى بن نوسطوريوس[5] ويعقوب بن كلس وعلسوج بن الحسن وابن الفرات كانوا بمثابة عيون للنظام الجديد وفي نفس الوقت كانوا يديرون فن التسيير الإداري[6].

تولى إبن عمار الكتامي رتبة الوساطة وهي في معنى رتبة الوزارة[7].

---

[1] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ج1، ص81.

[2] بدر الجماني: مملوك أرمني للأمير السوري جمال الدين بن عمار ومن هذا جاء تلقيه بالجماني، وقبل دخول الوزارة، عين حاكما على دمشق مرتين ثم واليا على عكة، وقد استدعاه الخليفة المستنصر لإخضاع القواد العصاة فأعاد بدر النظام وولي الوزارة. ينظر: إبن ميسر محمد، أخبار مصر، تح: هنري ماسيه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1919م، د.ط، ج2، ص 22-30.

[3] المقريزي، الخطط، ج1، ص439.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى،ج3، ص489.

[5] عيسى بن نوسطوريوس: هو من كبار المسؤولين عن القضايا المالية في عهد الحاكم ت (403هـ/1012م) ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص93.

[6] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ج1، ص99.

[7] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص57.

1_جهود الوزير أبو الحسن بن فلاح الكتامي:

كان من أوفى الكتاميين بيتا وأجلهم قدرا، كان أبوه من الأجواد هو أحد الجعفريين والي الزاب، استدعاه المعز لدين الله فبعث به إلى حملة كان أوجه الأمراء في الدولة الحاكمة وقاد الجيوش السائرة إلى الشام[1].

لقب أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح بوزير الوزراء ذي الرئاستين الآمر المظفر قطب الدولة و كان بحق من أعظم أمراء كتامة و أوضحهم شخصية وأهمهم في عصر الحاكم بأمر الله، الذي خصه بتقدير كبير مكافئة له على جهوده في خدمة الدولة[2]، ووقوفه ضد معارضيها في الشام ومصر وبرقة، وعندما مرض عاده في داره حمل إليه هدايا جمة من ضمنها مرتبة ديباج و خمسة آلاف دينار كما كرر نفس الهدية في وقت لاحق وأنعم عليه بالنفوذ والسلطان[3]، كلفه بمقتضى سجل التقليد بالإشراف على رجال الدولة ومراقبة الإدارة في الإسكندرية و تنيس ودمياط والحسبة والشرطتين والعرض والإثبات والنظر في الواجبات[4]، فقام برعاية ما كلف به في دقة ونظام وتواضع ولم تغره السلطة بالاستبداد بشأن إبن عمار ولم يأبه لضغوط بني جلدته ولا الذين بدأوا ينفضون من حوله ناجين بأنفسهم من الحاكم وعقابه[5].

قتل اغتيالا على يد فارسين متنكرين في عصر الحاكم فرماه أحدهما بالرمح فجرحه و لفظ أنفاسه الأخيرة في بيته سنة(409هـ/1019م).[6]

---

[1] الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص 82.

[2] النويري، المصدر السابق، ص58.

[3] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص116.

[4] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص58.

[5] إبن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص375.

[6] النويري، المصدر السابق، ص57.

2_ جهود الوزير الحسين بن علي دواس الكتامي:

هو حسين إبن علي بن دواس الذي ازدهر في عصر العزيز والحاكم كان يلقب بسيف الدولة ذي المجدين و يوصف في بعض المصادر بكبير أمراء الحاكم بأمر الله[1]، كما ولي خطة الوزارة فترة قصيرة فقد كان حذرا من الحاكم بعد الذي صنعه في قادة كتامة ورجالهم وبسائر المخلصين لأسلافه مثل برجوان، فهو الذي امتنع عن الإجتماع بالحكم بقصره وكان منه لا يرتاد المواكب الرسمية إلا وهو على صهوة جواده خوفا من تآمر الحاكم عنه، وعندما استفسر الحاكم عن سر تصرفه[2] قال: " وقد قام في نفسي أنك قاتلي، فأنا مجتهد في دفعك بغاية جهدي ليس لك حاجة إلى حضور قصرك فإن كان باطن رأيك مثل ظاهره فدعني على حالي فإنه لا ضرر عليك في تأخري عن الحضور إلى قصرك، وإن كنت تريد بي سوءا فالآن تقتلني في داري بين أهلي وولدي يكفونني، ويتولونني لأحب إلي من أن تقتلني في قصرك وتطرحني تأكل الكلاب من لحمي"[3].

هذا الأمير صار محورا لقصة التآمر على حياة الحاكم بمعية أخته ست الملك[4]، وكل الغاضبين من سياسته والمتضررين من تصرفاته من بين كتامة والعراضين عنه لتطرفه وشذوذه عندما انتهى أمر الحاكم بأمر الله ولي ابنه الظاهر لدين الله الخلافة تحت وصاية عمته، بادرت هذه الأخيرة بالانتقام من إبن دواس فقتله شر قتلة لا لشيء سوى لمعرفته بسر قتلها لأخيها، ولأنه لم يكن يتوقع مكروها من جانبها أخذته على حين غرة وقتلته[5].

---

[1] ابن الأثير ، المصدر السابق، ج9، ص118.

[2] الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص32.

[3] أبو المحاسن، المصدر السابق، ج4، ص185.

[4] ست الملك: هي ابنة العزيز من جاريته النصرانية، ولدت بالمغرب سنة359هـ/970م، كانت تكبر أخيها الحاكم نحو خمسة عشر عاما وكانت عند وفاة والدها في السادسة وعشرين من عمرها، كانت حازمة وعاقلة، قوية العزم بصيرة بالأمور كان لها أثر ظاهر في توجيه سياية والدها نحو النصارى، ينظر: نفسه،ج4، ص195.

[5] إبن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص391.

وهكذا انتهى بقتله عهد شيوخ كتامة وقادتها كماإنتهى بقتل جعفر بن فلاح عهد الأبناء الذين جاؤوا إلى بيئة مصر شبابا[1].

[1] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص 60.

المبحث الثالث: ولاية حكم الأقاليم

لا نملك عن نظام حكم الولايات معلومات وافية، غير أن الجدول[1] "الخاص بضريبة الخراج في عهد المستنصر بين لنا مدى التغيير الذي حدث في ذلك العصر في التعابير الاصطلاحية الإدارية، ولا سيما في أوائل حكمه، فقد استعملت كلمة عمل جمعها أعمال بمعنى مديرية وكلمة ناحية جمعها نواحي بمعنى مركز وكلمة كفر أو قرية[2]، أما كلمة كورة بمعنى مركز الذي أخذها العرب كأساس لتقسيم هم الإداري نقلا عن البيزنطيين وبقت دون تغيير في عهد الطولونيين، فإنها لم تعد تستعمل بعد حكم المستنصر وأن استعمال هذه الكلمة لم يكن من قبل الخليفة[3].

فصار العمل أكبر من الكورة الوحدة الإدارية للبلاد يشتمل على النواحي والقرى فقسمت مصر في عهد الفاطميين إلى واحد وعشرين عملا، في حين أنها كانت تشتمل على ستين كورة في العهد الطولوني[4]، وقد عرفت مصر فيما بعد تقسيمها جديدا فتناقص عدد الأعمال إلى اثني عشر عملا سنة (815هـ/1315م) في ظل السلطان الناصر[5].

ومع أن البلاد كانت مقسمة إلى اثنى عشرا عملا فإن القلقشندي[6]، لم يذكر غير أربعة أقسام إدارية سياسية، يقال لكل منها ولاية على رأس كل منها حاكم يعرف بالوالي فكانت الولايات بحسب قوله موزعة على أساس ولاية واحدة بالصعيد وثلاث أسفل الأرض غير أن هذا القسم الذي أورده القلقشندي لا يبدوا دقيقا، ذلك لأن مؤرخي العصر الفاطمي يذكرون أسماء ولاة كثيرين لم يذكرهم القلقشندي وفوق

---

[1] في ذلك العصر، بدلا من نقل المال من يد إلى يد، كان يلجأ إلى وسيلة مصرفية، فكانت التعابير الإصطلاحية سفتاجة وصك ورقعة وخط تدل على إذن المصرف الذي عرف فيما بالجدول. ينظر: Fishel, origin of Bank King, J.R.A.S, 1933, 7, p576.

[2] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق،ج1، ص130.

[3] نفسه،ج1، ص131.

[4] المقريزي، الخطط،ج1، ص 82-83.

[5] حسن محمد حسن، تاريخ المماليك، دار الكتب المصرية، لبنان، 1988م، د.ط، ص266

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 380-385.

ذلك كانت المدن تجاوز الولايات مثل الإسكندرية وتنيس وعيداب[1] ولا يحكمونها كذلك يشير القلقشندي[2] إلى سجلات عديدة لولاة الوجهين القبلي والبحري فلعل هذه الولايات الأربع الكبرى تدخل تحت حكمها الولايات الصغار وبعض مدن الحدود وأن تكون هي التي إستقر عليها الحال في أخر دولتهم[3].

وقد كان حكام هذه الولايات يخضعون للسلطة التنفيذية، فكانوا يعينون بسجل[4] في أوائل الحكم الفاطمي من بين عناصر متعصبة للدولة لتقوية السلطة المركزية فيحدثنا المقريزي بأن المغاربة جعلوا في الولايات في البلاد.

ومن المحقق أن إدارة الولايات في زمن الفاطميين كانت أفضل تنظيما وأكثر استقرارا فكانت العلاقة بين الإدارة المركزية والإدارة المحلية أشد وأقوى[5]، وذلك بفضل المغاربة خاصة الكتاميين منهم، فقد كان لكتامة حظ وافر فكان من بين رجالها عمال طرابلس وسرت وأجدابية وبرقة وأسوان ومن مدن الشام الداخلية والساحلية، فكان من بينهم من عمل ولاة للأقاليم[6].

كان حمزة[7] متولي أسوان في عصر العزيز بالله طموحا إلى الاستبداد بالسلطة إلا أنه مال إلى الانفصال عن الخلافة وخلق متاعب للدولة في الوقت الذي كانت فيه منصرفة إلى الحروب الخارجية في بلاد الشام وقد تكفل بإخماد ثورته ومصادرة

---

[1] عيذاب: ليس بها طريق معروف ولا يستدل عليها إلا بالجبال والكدى الناتئة بأنها رمال سائلة وضحاضح غامرة وأكثر الاستدلال بها بالنجوم ومسير الشمس من المشرق إلى المغرب وهي جزء من بحر القلزم وجملة من جزائره العامرة الخالية، ينظر:الإدريسي، وصف إفريقيا، ص57.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى ،ج3، ص496.

[3] نفسه، ج3، ص498.

[4] نفسه، ج3، ص 498.

[5] الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص109.

[6] موسى لقبال، دور كتامة ، ص509.

[7] حمزة: هو إبن ثعلة الكتامي تولى أسوان بعد دخول المعز للقاهرة، أعلن ثورته للعزيز بعد وفاة المعز عام 978م، مستغلا بعد المسافة بين ولايته ومركز الحكم الفاطمي، تم القضاء عليه و أعدم، ينظر: محمود خلف، ثورات المصريين في العصر الفاطمي 969م، د.ت، د.ط، مصر، ص45.

أمواله جعفر بن محمد أبي الحسن الصقلي الذي اصطحبه معه إلى القاهرة وقتله على يد إفتكين[1] الذي أخذ أمواله أنعاما من العزيز بالله عليه، وقد إستمر كل من ابن يخلف وأفلح بن ناشب عن طرابلس وبرقة حتى عصر العزيز[2].

1_دور الحسن بن عمار كوالي اقليم:

ارتفع شأن الحسن بن عمار وظهر غناؤه في إخماد ثورات الشعب في الداخل وفي مجابهة حركة القرامطة، وقد هيأ له الخليفة العزيز مكانة مرموقة في الدولة فكلفه بتدبير الأموال ومحاسبة أرباب الدواوين، والنظر في الشكاوي وما يحتاجه جمهور السكان، فنهض بهذه المهمات الكبرى لفترة ثم توالى عليها الفضل بن صالح ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات[3] الذي أعفي من المهمة استجابة لرغبته وبينما حوسب وألزم بدفع أموال الخزينة[4].

لم يمس إبن عمار بأي أذى بل حفظ له العزيز مكانته في الدولة وأبقى على امتيازاته وأقر له مخصصات شهرية ويومية لمعاشه، وكانت عبارة عن 500 دينار للحم والتوابل والفاكهة تدفع له شهريا، كما كان يرسل له كل يوم سلة فواكه بدينار ثم عشرة أرطال من الشمع وحمل كل يومين، وإستمر هذا التقليد حتى عصر الحاكم بأمر الله[5].

---

[1] افتكين: هو أبو منصور الشرابي غلام معز الدولة أحمد بن بويه عظم شأنه في المناصب حتى تولى قيادة جند الأتراك في بغداد وغلب على عز الدولة، ينظر: المقريزي، الخطط، ج1، ص09.

[2] نفسه ، ج1، ص246.

[3] أبو الفضل جعفر بن فرات: الإمام الحافظ الثقة، الوزير الأكمل جعفر بن الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات البغدادي، نزيل مصر، يعرف بإبن حنزابة، ولد ببغداد سنة ثمان وثلاثمئة، تقلد الوزارة لأميرها كافور كان أبوه وزير المقتدر بالله، ت الأحد 13 ربيع الأول سنة إحدى وتسعون ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ط11، ج16، ص485.

[4] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص279.

[5] الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص 86.

فقد وقف إلى جانب العدل والتسامح المذهبي أثناء حوادث العنف والاصطدام[1] وشعور العزيز بالله بقوة كتامة وأهميتها في حراسة نظام الإمامة بعد وفاته هي التي جعلته يستدعي وهو على فراش الموت الحسن بن عمار والقاضي محمد بن نعمان الكتاميين وحدثهما في شأن النص على حجته وولي عهده وهو ابنه بعد أن تأكد موافقتهما وإخلاصهما لاستمرار النص في بيته وأوصاهما كما أوصى ابنه وحدثه عن الأمانة التي ستصير إليه[2].

عندما توفي العزيز أعلن خبر موته ولم يكتم كالعادة، هذا الإعلان بحد ذاته يشير إلى استقرار الأوضاع في مصر بسبب إخلاص كتامة وقوة جهاز الدولة وإتفاق أصحاب النفوذ على ولاية الحاكم بأمر الله[3]، وهم إبن عمار ومجموعة قادة كتامة الذين أظهروا الحزن العميق عليه.

وقد تولى تفجير عواطف الحزن أحد أبناء أمراء كتامة الذي وقف وسط الجموع وإرتجل شعرا[4] بقوله[5]:

أُنظرْ إلى الَطياءِ كَيفَ تُضَامْ وَمَا تَمَ الأَحْسابِ كَيفَ تُقَامْ

خَبرتنِي رُكبِ الرُكابِ ولمْ يَدعْ للسفرِ وَجهٌ تَرحلُ فَأقامُوا

وقد بلغ ضغط كتامة مداه في بداية عصر الحاكم بأمر الله حيث تأخر كثيرا من قادتهم عن البيعة وتجمعوا في المصلى في شبه مؤتمر واشترطوا لإعلان ولائهم للخليفة الجديد مجموعة من الشروط بتحقيقها تعود الأوضاع إلى طبيعتها

[1] شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام، دار الكتب المصرية، مصر، د.ت، د.ط، ج3، ص189.

[2] ابن ميسر، المصدر السابق، ج2، ص70.

[3] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص101.

[4] المقريزي، الخطط، ج2، ص284.

[5] ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص64.

ويسترجعون مكانتهم[1] التي نال منها إدخال عناصر الترك والديلم ودسائس ابن كلس وابن نوسطوريوس ومن بين الشروط:

- أن يبعد نوسطوريوس عن المسؤولية العليا وتكون الوساطة لرجل من المغاربة وأن تصرف لهم مخصصات مالية تقسط على 08 مرات في السنة.

2_مكانة الحسن بن عمار في البلاط الفاطمي:

بعد أخذ ورد تدخل الحسن بن عمار وبعض شيوخ كتامة لتحقيق الصلح بين الخليفة وعرفاء كتامة، تحقق إتفاق وأعطى للحاضرين ما يخصهم من أموال أما الغائبون فقد رفع ما ينوبهم إلى عرفائهم، أما إعادة إعتبار كتامة في نظام الدولة وفي ممارسة المسؤولية فقد عبر عنه إنتداب عمار للوساطة (368/996هـ/997م) برضا شيوخ كتامة الذين التزموا بالطاعة وارتبطوا باليمين كما ربطوا إبن عمار بها على أن يكون مخلصا وصادقا (فيما يؤديه عنهم)[2].

قد راعى الخليفة الحاكم لإبن عمار فضله في حل هذه الأزمة فأنعم عليه بلقب أمين الدولة وكني بأبي محمد وخاطبه يقول: "أنت امين على دولتي ورجالي"[3] وأصبح أول من حضي باللقب الشريف من رجال الدولة في العصر الفاطمي الأول كما قلد بسيف من سيوف العزيز بالله أنعم عليه بخلع معتبر وحمل على فرس بسرج مذهب وشيع إلى داره بموكب عظيم[4] تولى إبن عمار تسيير شؤون الخلافة بقادة كتامة وإتخذ أبا عبد الله الموصلي كاتبا وأقر بن نوسطوريوس على ديوان خاص[5] ثم أبعده وقتله في محرم 387هـ/997م وخول لنفسه دخول القصر راكبا من الباب الذي خص بجلوس خدم الخليفة وكان يشق الدواوين ولا ينزل إلا أمام الحجرة التي يوجد

---

[1] موسى لقبال، دور كتامة، ص500.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص293.

[3] أبو المحاسن، المصدر السابق، ج4، ص122.

[4] ابن ميسر، المصدر السابق، ج2، ص 53.

[5] نفسه، ج2،ص54.

بها الخليفة ومنها يركب إذا أراد الإنصراف[1] أما داره غدت مركز جذب لرجال الدولة والعامة الذين يبكرون كل صباح للسلام عليه فيدخل الوجوه وقادة كتامة وفق ترتيب خاص[2].

لم يكن إبن عمار سيئا في حد ذاته فلم يكن يريد النيل من المشارقة فقد أصبح سيد الموقف لولا كثرة ضغوط كتامة عليه وإجتهاد رجالهم في إستفساد نيته حتى إنحرف وسايرهم وإتخذ منهم بطانته وبالغ في تقديرهم وإغداق الأموال عليهم وهيأ لهم مراكز ونفوذ في القاهرة وفي الأقاليم وإتخذ لنفسه حرصا من الفرسان والأحداث الكتاميين ولميلهم إلى الشعب والإستبداد بل وتطاولوا على رجال الدولة وإمتدت أيديهم إلى الأموال والحرمات، وضغطوا بشدة من أجل مقتل الحاكم وإلغاء نظام الإمامة لولا أن الوالي هون عليهم شأن الحاكم وإستبعد أن يأتي من جانبه ما يخيف رجال كتامة وقادتها[3]، فقال: " وما قدر هذه الوزعة حتي يكون منها ما نخاف"[4].

قد خيل لإبن عمار أنه غير مراقب لذلك تصرف في أموال الخلافة بحرية تامة كما فرق جواري القصر على رجاله وأعتق منهم وباع بعضهن، وقطع رسوم أرزاق بعض منافسيه كما ضيق على الأتراك وسلك سبيل التقشف حتى في المطابخ خاصة وضيق على الحاكم ولم ينتبه إلى قوة منافسيه وتآمرهم حوله[5].

أشرف منجوكتين[6] على التعبئة المعنوية بقوله" وصار إخواننا المشارقة بينهم كالذمة بين المسلمين وهذا ما يسعنا الصبر على هذه الصورة وتسليم الدولة إلى هذه العصابة المتسلطة"[7]وساعده (السواد ومشايخ البلد وأشرافه) في كل جهوده

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص6.

[2] نفسه، ج2، ص11.

[3] نفسه، ج2، ص12.

[4] ابن الأثير ، المصدر السابق، ج9، ص 44.

[5] نفسه، ج9،ص45.

[6] منجوكتين: هو احد غلمان العزيز بالله ولاه دمشق سنة 381هـ/991م بقي مدة سبع سنوات ثم عزله الحاكم الفاطمي، ينظر: إبن القلانسي، المصدر السابق، ص42.

[7] نفسه، ص46.

وبفضلهم تمكن من تجنيد قوة كبيرة بلغت نحو 16 ألف جندي وعندما بلغت الوالي هذه التحركات عن طريق عيونه، قلق من تطور الوضع على هذا النحو واستعد مع أولي الرأي وشيوخ كتامة لتنافي الأخطار ومواجهة حركة منجوكتين الذي صوره في صورة من عصى الخليفة[1]، قبض على منجوكتين بعد هزيمته في عسقلان والسير إلى القاهرة فأبقاه الوالي واصطنعه ليستميل به عنصر المشارقة، فكان وضعه ينذر بالخطر وذلك لقلة رجاله وغيبة أكثرهم في الشام ونشاط خصمه برجوان للنيل منه[2].

بعدها تهيأت ظروف العمل المادي في القاهرة ضد إبن عمار الذي أساء إلى عصيته في هذه الفترة وذلك عندما عزل بعض ولاة كتامة وكان من بينهم إبن أخته جيش بن صمصامة[3] وتعويضه بعلي بن جعفر وفارق الشام ونصب نفسه عينا على بني حلدته[4].

تنبه إبن عمار لما يدبره المعرضون له فقد بعث عيونه وأرصاده وكلف رجالا بالفتك ببرجوان وشكر إذا ما زاره إلى القصر، غير أن عيون برجوان في رجال إبن عمار هم الذين كشفوا سر إبن عمار وتدبيره للإيقاع بهما، تفجرت الطاقة وإشتعلت نار الفتنة الطائفية بين المشارقة والمغاربة[5]، إشترك فيها الأتراك وتصدر عنصر المشارقة وعبد الشراء برجوان، منجوكتين، أما المغاربة وجميع من إنضموا تولى قيادتهم الحسن بن عمار ولقلة عددهم إنهزموا شر هزيمة، وإستتروا عند أحد

---

[1] wiet: histoire de la natation egyptienne, t, p 198.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 117.

[3] جيش بن صمصامة: هو محمد إبن أخت أبي محمد المغربي الكتامي، الأمير الكبير نائب دمشق ولي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ثم وليها مستقلا سنة سبعين، كان ظلوما متجبرا سفاكا للدماء ت الإثنين 9 ربيع الثاني سنة تسعين، ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج17، ص54.

[4] النويري، المصدر السابق، ص 51.

[5] نفسه، ص 51.

المصريين ونهبوا داره وقصره وعندما هدأت الفتنة جددت بيعة الحاكم وإستبد برجوان الحكم، أصدر أمانا عاما لقادة كتامة ووجوه مغاربة بما فيهم خصمه إبن عمار[1].

إستمر إبن عمار في القاهرة من غير أن تكون له سلطة أو نظر في شأن من الشؤون حتى أوعز برجوان إلى الحاكم بقتله وقد وضع له كمين عند انصرافه من القصر مساء 14 شوال 390هـ أغسطس 1000م[2].

عندما ظهر عليه جماعة من الغلمان وقتلوه عند مكان إسطبل الطارمة بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم قطعوا رأسه وحملوه إلى الحاكم الذي أمر بدفنه في القرافة[3] أما جثته فقد دفنت في مكان قتله.

إثر ذلك أرسل الحاكم بأمر الله إلى إبن عمه[4] ثقة الدولة الحاكمية يوسف بن أبي الحسن الكلبي[5] والي صقلية، برر قتله لكثرة ذنوبه وانحرافه عن العهد ويقول له: "الحمد لله قاطع الأنساب بقاطع الأسباب إذ يقول، وقوله هدى لأولى الألباب، يا نوح إنه ليس من أهلك"[6].

إذ كان قله قد خلف مرارة في نفوس كتامة وسائر المغاربة الذين أصبحوا في وضع سيء لاستبداد عنصر المشارقة وطغيان برجوان الذي خطط لتصفية عنصر كتامة لم يسعد كثيرا بالوساطة، إذ سرعان ما ظهر على حقيقته طاغيا مستبدا عنصريا

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، 1، ص 357.

[2] موسى لقبال، دور كتامة، ص 506.

[3] القرافة: تعني المقبرة في مصر إمتدت مساحتها أسفل المقطم وسكنها البسطاء، سميت بالقرافة نسبة إلى قبيلة المعافر يقال لهم بنو قرافة، ينظر: المقريزي، الخطط، ج1، ص300.

[4] موسى لقبال، دور كتامة، ص 506.

[5] يوسف بن أبي الحسن الكلبي: هو أبو الغنائم، الحسن الكلبي بن علي ين أبي الحسين 353هـ/964م مؤسس دولة بني كلب في صقلية ورأس أسرة من الولاة والحكام، ينظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص280.

[6] الصيرفي، المصدر السابق، ج1، ص 87.

متهاونا بشأن الحاكم الذي استاء من تصرفاته وتجاوزه وأوعز إلى ريدان الصقلي بقتله في نفس السنة التي قتل فيها إبن عمار[1].

تولى الخليفة بنفسه شرح الوضع، تبديد الحسرة التي ظهرت في أوسط المشارقة الذين كانوا يتزعمهم شكر العضدي رفيقه القديم وأعلن مسؤوليته عما وقع لبرجوان لسوء سيرته إنحرافه[2].

إعتمد على الحسين بن جوهر في تفريق التجمعات حول القصر، وعلى فهد بن براهيم كاتب برجوان في الإشراف على الدواوين تحت نظر القائد وفي الكتابة إلى سائر ولاة الخلافة الفاطمية بأسباب التخلص من برجوان[3].

رغم هذه التأكيدات التي يلاحظ أن سوء الظن الذي استحكم بين الخليفة وقادة كتامة سرعان ما ظهر التعبير عنه عمليا من جانب الحاكم (394هـ/1003-1004م) حيث قتل كثير من الكتاميين الذين سبق لهم الخدمة في عهد المعز والعزيز وأحرقت جثتهم بالنار ومنهم أبو علي عسلوج بن الحسن الدنهاجي، سليمان بن عزة، يخلف بن عبد الله ومحمد بن علي فلاح وابن قيطونة وابن سمود وغيرهم مما يبرر تسمية عهد الحاكم بعصر محنة كتامة الثانية[4].

أمر الحاكم بإحضار أحد رجال كتامة أمام القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان مسحوبا ثم أمر بجلبه إلى القاهرة ماشيا حيث ألزم بالتنازل عن كل ما ادعاه غيره في حقه، وقد قيل أن هذا الكتامي اشتهر بالعجرفة والشدة ورفض الحضور أمام القاضي وأهان رسوله[5].

---

[1] محمد حمدي المنياوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، 1970م، د.ط، ص 245.

[2] موسى لقبال، دور كتامة، ص 507.

[3] المنياوي، المرجع السابق، ص 247.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 369.

[5] ابن حجر العسقلاني، رفع الأصر عن قضاة مصر، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، 1963م، د.ط، ص 359-365.

أما موقف كتامة من الحاكم فقد عبروا عنه بالانتقام منهم أثناء حركة أبي ركوة فلم يظهروا جدا بالحرب ومن ثم هزم قائد الحملة اينال الطويل وقتل وقطعت أوصاله وكان من قبل قد نكل برجال كتامة في مصر أثناء الفتنة واستأمن جماعة منهم إلى أبي ركوة نكالة في الحاكم بأمر الله، كانوا أيضا وراء المتاعب التي لحقت قائده الجديد الفضل بن صالح[1].

بسبب حركة التصفية لنفوذ كتامة فقد إحتفظ بعض قادتهم بمكانة كبرى في عصر الحاكم ومن هؤلاء جيش بن محمد بن الصمصامة وأبو الحسن بن علي بن جعفر بن فلاح والحسين بن علي دواس[2] وقد أدرك جيش مجدا كبيرا في بلاد الشام فلما توفي في ربيع الآخر سنة (390هـ-1000م) خلفه ابنه محمد لفترة يسيرة ثم رجع إلى القاهرة ومعه وصية أبيه بالتنازل عن كل أمواله للخليفة الحاكم وحرمان الورثة فإستحسن الخليفة تصرفه، لكنه أمسك عن قبول الأموال وأرجعها إلى ورثته الحقيقيين[3].

[1] أبو محاسن، المصدر السابق، ج2، ص 286.

[2] المقريزي، الخطط، ج2، ص 286.

[3] نفسه، ج2، ص 287.

الفصل الثالث : المساهمة العلمية والحضارية لكتامة الفاطمية في مصر

- المبحث الأول: التأثير العلمي والفني لكتامة في مصر
- المبحث الثاني: المساهمة العمرانية للكتاميين في مصر

المبحث الأول : التأثير العلمي والفني لكتامة في مصر

كان زمن الفاطميين من أزهى عصور الفن الإسلامي، وإن يكن عصر لمماليك قد برز في ضخامة العمائر وإبداع زخرفها، فإن الفنون الفرعية أو التطبيقية[1] بلغت أوج عظمتها في حكم الدولة الفاطمية، الذي دام في واد النيل في سنة (358هـ-567هـ/969م-1171م) ، وزاد الرخاء في العصر الفاطمي فكان بذلك دليل على اهتمام الفاطميين إلى جانب الحياة السياسية والإدارية بالفن .

يعتبر الفن اجتهادا خاصا إما ينطلق من أفراد أو من جهات معينة ليعطي طابعا مميزا ينظر اليه بعين الإعجاب.

أولا: التأثير العلمي (الفقهاء والشعراء)

لقد عُني الفاطميون عناية عظيمة بالشعراء والكتاب وغيرهم من رجال الأدب لنشر مذهبهم وإذاعة ما بلغته خلافتهم من أبهة سلطان وقد أتى لنا القلقشندي ببيان رواتب الموظفين الذي يبين أن الكُتاب كانوا يتقاضون رواتب كبيرة، فضلا عما كان يُغدق عليهم من هبات ويدفع لهم من أرزاق[2]، إضافة إلى اهتمام الخلفاء بهم وتقريبهم إليهم، ولاتصال الكتاميين ببلاط الخلفاء، فقد احتلوا وتصدروا هذه المكانة واهتموا هم وأبنائهم بهذا الجانب من بينهم فقهاء وشعراء.

---

[1] الفنون الفرعية أو التطبيقة : هي Mimer Arts بالإنجليزية arts mineurs بالفرنسية و Kleinkunst بالألمانية تسمى أيضا الفنون الصناعية والفنون التطبيقة او الفنون الزخرفية والمقصود بها هو الفن في الأشياء التي ينتفع بها ويمكن نقلها او التي تتخذ للزينة والزخرف، ينظر: زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938 م، د.ط، ص 10.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 390.

أ-الفقهاء :

- **أبو علي حسن بن سعد بن إدريس الكتامي: خلف بن رزين بن كسيلة بن مليكة الكتامي فقيه من أهل الصلاح رحل مرتين الى المشرق، فزار مصر ومكة واليمن وبغداد قال عنه إبن الفرضي "كان يذهب الى النظر وترك التقليد" ويميل الى قول محمد بن إدريس الشافعي ، كان يحضر الشورى ولما رأى الفتية دائرين على مذهب المالكيين ، ترك شهودهما ولزم بيته وكان شيخا صالحا[1].**
- **محمد عبد الله إبراهيم بن جماح الكتامي : فقيه وعالم بالتوحيد والإعتقاد كما اشتهر بالقدرة على الحفاظ وهو من أصحاب أبي الوليد الباجي[2]، حتى إنه كان يستخلفه في تدريس طلابه عندما يسافر[3].**
- **محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد الكتامي : المعروف بإبن الشمني عالم في الحديث والفقه ، رحل الى مصر تصدر لتدريس الفقه والحديث بجامعها كما تولى خطة الشهادة بين الناس[4].**
- **أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الكريم بن أحمد الكتامي: المعروف بإبن العجوزات (515هـ/1121م) هو من بين سمعهم الشيخ العياض وقال فيه " في بيت علم وجلالة فقيه ابن فقيه خامس خمسة وعبد**

---

[1] يوسف إبن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1989م ط2، ج2، ص 201.

[2] ابي الوليد الباجي : القاضي من أعلام المذهب المالكي هو محمد بن محمد بن قاسم الباجي لقب بالقيرواني ولد فيها في 1324 م، رجل من اهل النضال، ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد باكير محمود، بيروت، 1967م، د.ط، ج4، ص66.

[3] ابن رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح: محمد العروسي المطوي، الدار التونسية للنشر تونس 1986م، د.ط، 226.

[4] نفسه، ص227.

الرحيم أكبرهم في العلم والجلالة والأمانة، كان يميل الى النظر والحجة"، درس الفقه تولى القضاء توفي مصروفا عن ذلك[1].

- **محمد بن عصام بن احمد بن محمد بن إبراهيم بن يحي بن خلصة الكتامي:** متمكن في علوم اللسان، سواء كانت نحو أو لغة أو أدبا، وله إلمام بالتاريخ ، خلف أباه في الخطابة والإقراء[2].
- **أبو جعفر أحمد بن سليمان بن أحمد الكتامي:** المعروف بإبن أبي الربيع من المتخصصين في القراءات ، قام بإقراء الناس في مصر، له عدة رحلات منها رحلة الى المشرق[3].

ب-الشعراء :

- **أبو الطاهر جعفر بن علي دواس الكتامي:** المعروف بقمر الدولة من مواليد مصر، نشأ بطرابلس الشام له شعر عذب حسن المعاني، رشيق الالفاظ كان يعزف العود ويجيد الغناء وله أسلوب حسن في ذلك ، انتقل إلى بغداد حيث لقي بها حفاوة وترحيبا[4].

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج2، ص233.

[2] المرجع السابق،ج2، ص 244.

[3] لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة لدى الوزارتين، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ط1، ص 120.

[4]ابن الفرضي، المصدر السابق،ج2، ص 210.

من شعره [1]:

إِنْ صَارَ مَوْلاَيَ ذَا يَسَارِ فَإِنَّنِي ذَلِكَ المُقْلِ

كَالشَّمْسِ إِنْ زِيدَتْ إِرتفَاعًا يُقْصرُ فِيءِ لَها وَظِلِ

وله أيضا:

مَا رَأَيْتُ المَشِيبُ فِي الشَعْرِ الأَسْودِ فَلمَا لاَحَ صِحتُ وَاحْزَنِي

هَذَا وَحَق الإِلَهِ أَحْسَبُهُ أَوَلُ خَيْطٍ سَدِي مِنْ الكَفَنِ

وقال كذلك :

أَنَا مِمَنْ إِذَا أَتَى صَاحِبُ الدَارِ لِلكُبْرَى

تَتَجَافَى جُنُوبِهِمْ كُلَّ وَقْتٍ عَنِ الكِرَى

وقال أيضا :

لاَ يَظُنُ العَدُوُ أَنَّ انْحِنَائِي كِبَرًا عِنْدَمَا عَدَمْتُ شَبَابِي

ضَاعَ مِنِي أَعَزُّ مَا كَانَ مِنِي فَأَنَا نَاظِرٌ لَهُ فِي التُرَاب

- **جعفر ين فلاح الكتامي** : لم يكن ابن فلاح قائدا عسكريا محنكا وانما كان شاعرا قديرا له عواطف تجاه اهل البيت وعنصر الاشراف وتأثر بالمذهب الشيعي في شعره، حتى انه بكى عدوه القرمطي بعد قتله، تأثرا وعرفانا بقبضته[2]

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج2،ص222.

[2] موسى لقبال، ملحمة أبي الفضل، ص 18.

- بقوله[1] :

يا مَنْزِلاً لعبَ الزمانُ بِأهْلِهِ فَأَبَادُهُم بِتَفَرُقٍ لَا يَجْمَعْ.

إِنَّ الذّينَ عَهِدتُهمْ فِيمَا بِكَ مَرَةً كَانَ الزَمَانُ بِهُمُ يَضُرُ وَيَنْفَعُ.

ثانيا :التأثير الفني:

كانت القاهرة في القرن(5هـ-11م) مركز رئيسيا للصناعات الفنية المختلفة ومن المحتمل أنها كانت تنال نصيا وافرا من الاهتمام وذلك لإبداعها درجة إتقانها فكان العصر الفاطمي من أزهى عصور الفن الإسلامي، فلا شك أنه باهتمام الفاطميين بالفن في مصر قد اهتموا بالطابع الثقافي.

1 _إبن ميسرة الكتامي:

يعتبر ابن ميسرة الكتامي صورة طيبة عن تنوع نشاط كتامة واهتمام بعض أفرادها إلى جانب الحياة الإدارية والعسكرية بالثقافة والفن على خلاف أسلافهم بالمغرب ومصر في بدء حياة الدولة[2].

يلاحظ أن مسيرة الكتامي كان أحد رجال المستنصر بالله[3]، حيث اشتغل نديمه ومغنيه الخاص، عرف بالكتامي لشهرته، فقد تزعم مدرسة فنية مشهورة، كان

[1] أبو المحاسن، المصدر السابق، ج4، ص 31.

[2] موسى لقبال، دور كتامة، ص 508.

[3] المستنصر بالله : هو أبو تميم معد لقب المستنصر، امتد حكمه 60 عاما تولى الحكم صغيرا لم يتجاوز 07 أعوام امتد عصره 67 عاما، كان اول حكمه رخاء لكن في أواخر حكمه تعرضت مصر لشدة عظمى، ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص78.

من بينها رسامون ومزوقون ومغنيون، فقد ظهرت مدرسته بعد إنقراض أسرة بني المعلم المشهورة[1] .

صناعة التصوير، إذ إستثنينا الحاكم بأمر الله، فقد كان خلفاء الفواطم شديدي التسامح الديني ويدل ما يرويه المؤرخون ولاسيما المقريزي على أنهم كانوا يشجعون المصورين ويشملونهم برعايتهم وكان الوزراء وكل رجال الدولة يحذون حذو الخلفاء وطبيعي أن يقفوا اثرهم الأغنياء أعيان التجار[2]، وقد كتب المقريزي "انه كان يسمى ضوء النبراس وأنس الجلائس في أخبار المزوقين من الناس"[3] وبرز ذلك في هندسة جامع القرافة[4].

2_جامع القرافة :

في سنة (366 هـ/986م) أنفقت تغريد[5]، زوجة المعز أموالا جمة على تشيد جامع لها بالقرافة، وقد قام برسم المسجد الحسن بن عبد العزيز الفارسي[6] المحتسب وتولى زخرفته ونقشه جماعة من الفنانين من المغاربة وأهل البصرة، وكان يحيط بهذا الجامع من غربيه حديقة غناء وصهريج، واختط هذا المسجد على شكل مربع

---

[1] أسرة بني المعلم: كان المعلم يطلق على مهارة الفنانين والصناع وقد ظهرت في عصر الناصر محمد بالقاهرة ينظر: المقريزي، الخطط، ج1، ص 200.

[2] موسى لقبال، دور كتامة، ص 509

[3] المقريزي، الخطط، ج1، ص 83.

[4] ينظر الملحق رقم 08، ص97.

[5] تغريد زوجة المعز : السيدة المعزية أم الخليفة العزيز زوجة الخليفة المعز لدين الله والتي تلقب أم الأمراء واسمها تغريد وقيل هي أم ولد من أصل عربي تزوجها المعز في المغرب، كان لها نشاط تجاري واسع في مصر ينظر: الأنطاكي، المصدر السابق، ص 165.

[6] الحسن بن عبد العزيز الفارسي (461هـ /1069 م) : نصر بن عبد العزيز بن احمد أبو الحسين الفارسي عالم بالقراءات من أهل شيراز، انتقل الى مصر فكان مقرئها وسندها، ينظر: الزركلي، المصدر السابق ،ج15 ص108.

الزوايا، ومن جانبه أروقة كالأزهر، يبدوا أن نقوش كانت في غاية الإبداع أما بابه فكان ذا مصطبة كبيرة تحت منارة عالية، وكان مصفحا بالحديد، كانت المقصورة يدخل إليها من أربعة عشر بابا مربعا، أمام كل باب قنطرة مقوسة على عمودين من الرخام في ثلاثة صفوف، ملونة بمختلف الألوان، وكان أمام الباب الأوسط قنطرة على هيئة قوس، ملونة بألوان مختلفة، ويكاد الناظر إليها يخالها شكلا طبيعيا، وقد حاول النقاشون أن يحاكوها فما استطاعوا[1].

وقد أمرت زوجة المعز الحسن بن عبد العزيز المحتسب الذي رسم المسجد فبنى لها قصر القرافة في سنة 366هـ، قال فيه المقريزي "قصر فخم يسر الناظرين يتردد عليه أهله طلبا للراحة، وكان بهذا القصر قنطرة مقامة على قبو استظل به المسافرون من الشمس"[2].

وفي الخطط للمقريزي أن اثنين كان يتنافسا على إعجاب الوزير وقيل أنهما كتاميان أو من البصرة لم يذكر إسمهما، وكان من أمرها أن صور أحدهما راقصة في ثياب بيض في قوس ملون بالسواد، يحسبها الناظر داخلة فيه وصور الآخر فتاة أخرى بثياب حمر في قوس أصفر يخالها الناظر بارزة عن القوس، وقد نالا بذلك إعجاب الوزير ووهبهما ذهبا كثيرا[3]، ويزيدنا المقريزي أنه كان في إحدى دور القرافة صورة للكتامي إبن ميسرة أحد نقاش جامع القرافة ، تمثل يوسف عليه السلام وهو

[1] المقريزي، الخطط، ج1، ص 415.

[2] حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص حسن إبراهيم تر: محمد احمد حسونة الهندي، وزكي محمد المهندس أفندي، القاهرة، 1932 م، ط1، 245.

[3] نفسه، ص 245

ملقى في الجب وهو عاريا، وكان الرسم من الدقة بحيث كان يوسف يبدوا أنه في الجب حقيقة[1].

[1] المقريزي، الخطط ،ج2، ص 318.

المبحث الثاني: المساهمة العمرانية للكتاميين في مصر

كان الفاطميون يشعرون منذ البداية بأن دولتهم في المغرب لم تكن قوية الدعائم فنراهم عندما فتحو مصر عملوا على إثرائها ولتكون مركزا ينافس الدولة العباسية، لكن سعي الفاطميين باء بالفشل طوال عهد عبد الله المهدي وابنه وخليفته القائم بأمر الله، حتى بلغوا مناهم في عهد المعّز خليفتهم الرابع الذي فتحت مصر على يد قائده جوهر (358هـ/969م) ، وعوض الفاطميون ضياع ممتلكاتهم في إفريقية بازدهار حكمهم في مصر عندما اعتنوا بالمنشآت العمرانية، دون المغرب فقد قال الرحالة الفارسي المشهور ناصر خسروا الذي طاف بلاد العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري (11م) " لقد رأيت نفس البؤس في كل البلاد التي زرتها اللهم إلا مصر فقد وجدت رخاءً عظيما، وأسواقا عامرة وتحفا فنية نادرة، وهدوءً شاملا وكان ذلك في عصر الدولة الفاطمية إسماعلية المذهب"[1].

[1] ناصر خسروا، رحلة ناصر خسروا في مصر، تر: يحي الخشاب، مكتبة جامعة القاهرة، القاهرة، 1945م د.ط، ص7.

1-بناء القاهرة [1]:

وضع جوهر الصقلي أساس القاهرة عاصمة الفاطميين الجديدة والتي لا تزال الى اليوم في شعبان 418هـ/358هبعد أن استولى على مصر وكانت هذه المدينة الجديدة محاطة بسور من آجر كبير الحجم وقد تخلل هذا السور فضاء متسع اطلق عليه فيما بعد بين القصرين كان يسع عشرة آلاف من الجند وعلى الشرق منه يقع قصر الخليفة[2].

وصفها ناصر خسرو وفي سنتي (439-441هـ/1048-1049م) كانت قد ثبتت عمارتها وأصبحت فيها مالا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك للسلطان وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير في الشهر وكان فيها من الحانات والحمامات ما لا يمكن حصره وكانت كلها ملك للسلطان[3].

أما قصر السلطان فكان في وسط المدينة وبينه وبين الأبنية المحيطة به فضاء يفصله عنها وكان يحرصه في الليل خمسمائة حارس من الفرسان وخمسمائة حارس من الرجال وكانت أساوره عالية فلا يستطيع أحد رؤيته من داخل المدينة، بينما يبدوا من خارجها كالجبل وكان في القصر ألوف من الخدم والنساء والجواري وله عشر بوابات فوق الأرض، وباب يقود الى ممر تحت الأرض يعبره الخليفة راكبا ليصل الى قصر آخر[4].

---

[1] ينظر الملحق رقم09، ص98.

[2] المقريزي، الخطط، ج1، ص 23.

[3] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 11.

[4] نفسه، ص 12.

وللقاهرة خمس أبواب كبيرة "باب النصر، باب الفتوح، باب زويلة، باب القنطرة وباب الخليج[1]، ولم يكن بالمدينة سور محصن[2]، ولكن أبنيتها كانت أعلى من الأسوار المحصنة وفي كل منها خمس أو ست طبقات فكأنهما القلاع الضخمة[3].

وكانت البيوت في المدينة مبنية بناء محكما وكانت مفصولة عن بعضها بحدائق تسقيها مياه الآبار[4].

وتشير النصوص إلى أن المغاربة خصوصا العناصر الكتامية كان لها مساهمة في بناء مدينة القاهرة وخلفت حارات وأزقة سميت باسمها، وأثناء تأسيسهم لهذه الحاضرة تميزوا بطريقتهم الخاصة التي اتسموا بها وظهروا بها على حساب القبائل الأخرى.

---

[1] باب الخليج: هي بقايا الأبواب التي شيدت في سور القاهرة على يد جوهر، ينظر: كريزول، تأسيس القاهرة، ج2، مجلد 01، كلية الآداب، ص 289.

[2] السور المحصن: يعني السور الذي بناه جوهر كان قد تهدم، وقد ذكر المقريزي بأن السور قد تهدم 03 مرات، الأول وضعه القائد جوهر والثاني بدر الجماني أيام المستنصر والثالث وضعه الأمير بهاء الدين قراقوش في سلطة الناصر صلاح الدين، ينظر: المقريزي، الخطط ،ج1، ص 27.

[3] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 12.

[4] حسن إبراهيم حسن، الفاطميون ، ص 213.

2- حارات كتامة:

-حارة كتامة :هي عبارة عن الخطة التي اتخذها فروع كتامة سكن ومقاما سواء منهم الذين قدموا مع جوهر الصقلي واشتركوا في تأسيس الحارة أو الذين توافدوا فيما بعد مع المعّز لدين الله أو قبله، أو الذين التحقوا إلى مصر من منطقتي برقة وطرابلس أو هاجروا إليها من منطقة كتامة في بلاد المغرب[1].

كانت منطقة واسعة بعضها داخل القاهرة وبعضها الآخر خارج باب الخلق[2] ولاحظ المقريزي أن مكانها يقوم فيه حمام وما جاوره هما وراء مدرسة الوزير كريم الدين بن غنام[3]، ويمتد من درب الأعر حتى رأس الحارة الباطلية[4].

وخط قصر إبن عمار ، كان جزءا من حارة كتامة ومنه ينفذ المارة الى درب المنصوري على رأس الحارة الصالحية، فضلا عن دار خوند الست الشقراء[5] وهي من

---

[1] إبراهيم ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، نش: فولرز كارل ،مركز الأميرية الكبرى،القاهرة،1894م ط1،ج5، ص 37.

[2] باب الخلق : في الأصل باب الخرق كان يقع على رأس الطريق الموصلة من باب زويلة الى ميدان باب الخلق المعروفة الآن بشارع تحت الربع،أنشى في عهد الملك صالح نجم الدين أيوب 639هـ/1241م ولإستهجان كلمة الخلق ولأن الميدان كان يمر فيه خلق كثير استبدلت الكلمة بباب الخلق ويعرف الآن بميدان احمد ماهر، ينظر: إبراهيم الإصطخري، المسالك والممالك ،نش: محمد جابر العالي الحيني، القاهرة، 1961م، ص 77.

[3] الوزير كريم الدين بن غنام: بن أبي شاكر بن عبد الله بن غنام صاحب الوزير كريم الدين القبطي المصري المعروف بابن غنام، وزير مصر، بنى مدرسة بالقرب من جامع الازهر عرفت باسمه، عزل عن الوزارة وعمر دهرا ت القاهرة 04 شوال 823هـ، ينظر : جمال الدين أبو المحاسن ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، دار الكتب، بيروت، 1933م، د.ط، ج7، ص 332.

[4] الحارة الباطلبية: سكنها عناصر من المغرب، قدمو مع حملة جوهر، وسر التسمية الخاصة حسب أغلب الرويات يرجع الى قولهم " رحنا نحن في الباطل " لأنهم تاخروا في موعد تفريق الأموال على الجند فحرموا من العطاء، تقع على جنوب شرقي الجامع الازهر، ينظر : بن دقماق، المصدر السابق، ج5، ص 35.

[5] الست الشقراء: تنتسب الى احدى بنات السلطان المملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاون وقد تزوجها الأمير روبس، ثم انحرفت واتضعت في نفسها حتى ماتت في جمادى الأولى (791هـ/1389م)، ينظر: المقريزي، صبح الاعشى، ج3، ص400.

الدور المشهورة في حارة كتامة، وبرزت أسماء كتامية واقترن اسم هذه القبيلة عند ذكر جامع القرافة[1].

خوخة المطوع[2]: تقع في أول حارة كتامة مجاورة للجامع الأزهر[3]وتؤدي إليه وهي على مسافة قريبة من اسطبل الحسام الصدفي، وعرفت بهذا الاسم نسبة لفارس يعرف بالمطوع الشيرازي[4].

خندق العبد[5]: يعتبر من أهم أثار كتامة يجاور الحسينية وقد سكنه المغاربة نظرا لعدم انسجامهم مع السكان[6].

حارة الحمزيين[7] : نسبة إلى عناصر سكنت بها من الكتاميين ويبدوا ان آثار هذه القبيلة العتيدة في مدينة القاهرة كثيرة ، غير بعضها زال رسمه بالهدم ، أو بنيت مكانه منشآت جديدة، واتخذت لها أسماء أخرى.

---

[1] المقريزي، صبح الاعشى ، ج3، ص 448.

[2] المقريزي، الخطط ،ج2، ص 40.

[3] جامع الأزهر: اول مسجد أسس بالقاهرة أنشأه جوهر الصقلي الكاتب أبان الخليفة المعّز، شرع في بناءه يوم السبت جمادى الأولى 359هـ واكتمل بناءه في رمضان 361 هـ سمي لأنه كان يحيط به قصور فخمة كان أكثر الجوامع فخامة، وذهب مؤرخون آخرون الى رجوع اسمه الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ينظر: حسن إبراهيم حسن، الفاطميون، ص 124 .

[4] المطوع الشيرازي : هو الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء صهر بني رزبك، كان كرديا قدمه الصالح بن رزبك ابن الصالح لما تولى الوزارة ونوه به، لما مات من بعده ابنه في الوزارة، كان حسين هذا هو مدبر أمره بوصية الصالح وتم استشارته، ينظر: المقريزي، الخطط،ج3، ص86.

[5] خندق العبيد : يسمى الان حي دمرداش، ينظر: موسى لقبال، دور كتامة،ص410.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى،ج3، ص 356.

[7] حارة الحمزيين : خارج باب زويلة، نسبة الى عناصر استقروا بها وأصلهم من قرية حمزة بالبويرة وهي من ضمن مراكز كتامة وزواوة، ينظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص 04.

أما آثارها في الأقاليم فنذكر منها منية الكتامي وهي منطقة ضمن الأعمال الغربية مساحة ، هذه الناحية كانت تقدر بسبعمائة وثمانين فدانا[1]وكان دخله يوازي ثلاثة آلاف ومائتين دينار وكانت هذه المدينة أو الإقطاع اكبر مساحة ودخلا[2].

وكذلك منية لوزة التي كانت مساحتها ألف وخمسمائة وثمانية وستين فدانا قد عرفت باسم فرع لوزة وهي من فروع كتامة المشهورة[3].

كان دور كتامة بارزا في وضع أسس قصر المعّز لدين الله وفي بناء القنطرة التي أقامها جوهر فوق الخليج يعبر منها الجند إلى المقس[4] لحرب القرامطة[5].

وارتبط اسم الكتامي ميسرة بمسجد توبة في القرافة الكبرى ويقع شرقي رحبة الأقهوب بجوار الطبالة[6] التي كوفئ بها لتخليده مناسبة وهي الدعاء للمستنصر بالخلافة من على منبر جامع أبي جعفر المنصور في بغداد[7].

كما تزخر مناطق كتامة بثورة غابية كبيرة خاصة في شمال المغرب الأوسط حيث تحتل أشجار الفلين المرتبة الأولى في هذه الثروة، تكثر خاصة في جيجل،

---

[1] ابن دقماق، المصدر السابق، ج5، ص95.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 388.

[3] ابن دقماق، المصدر السابق، ج5، ص 77.

[4] المقس : كلمة المكس او المقس في مصر القديمة تعني الجمرك أي المكان يجبي فيه الضرائب على البضائع ووصف المقريزي ما كانت عليه المنطقة قبل خرابها فقال: وادركت المقس خطة في غاية العمارة بها عدة أسواق ويسكنها معظمهم أمم من الأكراد والأجناد وغيرهم، وقد تلاشت في سنة سبع وسبعين وسبعمائة من الهجرة عند حدوث الغلاء بمصر في أيام الملك أشرف شعبان بن حبيب بن حسين، ينظر: المقريزي، الخطط،ج2، ص70.

[5] مؤلف مجهول، شرح لمعة من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكره إلى مصر، مكتبة جامعة القاهرة، القاهرة، د.ت، د.ط، ص7.

[6] أرض الطبالة: هي الأرض الموجودة بالقاهرة، كان يحدها الخليج الكبير، والنزعة الإسماعلية وسور مجرى العيون وجامع أولاد عنان وهو حاليا مسجد الفتح سميت بالطبالة نسبة إلى أن الخليفة المستنصر، أهداها للمغنية طرب وشهرتها الطبالة، ينظر: الحموي،ج3، ص501.

[7] ابن دقماق، المصدر السابق، ج5، ص 43.

بجاية، جبال زواوة[1] وأشجار الأرز توجد في جبال البابور وأشجار التين وأشجار الصنوبر...إلخ[2].

وقد استعمل الكتاميون أخشابها في عملية التدفئة خلال فصل الشتاء وصناعة السفن إلى جانب توفر المواد الأولية كالجص، القطران...الخ[3]، والمعادن مثل الفوسفات، الحديد...إلخ[4]، بالإضافة إلى النباتات والحشائش مثل الحلفاء، الديس...إلخ[5].

وفي الأخير يمكن القول بان قبيلة كتامة تركت لنفسها أثرا في الجانب العمراني والفني على حد سواء مخلدة بذلك تاريخا لها لتبين بأنها كانت مركز الدولة الفاطمية وعمادها.

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 200.

[2] ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 92.

[3] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص131.

[4] ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 77.

[5] نفسه، ص 78.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لهذا البحث توصلنا إلى عدة نتائج أهمها:

- أدت كتامة دورا مهما في بلاد المغرب وانتشرت فروعها في مناطق مختلفة من هذه البلاد ولها مراكز مهمة.

- استطاع الفاطميون إقامة دولتهم في بلاد المغرب واستغلوا الوضع الذي كانت عليه القبيلة، فعلى أكتافها أقاموا دولتهم وبفضل سواعد أبناءها اتسعت وامتدت شرقا وغربا.

- في عهد المعز حدث تحول في تاريخ الدولة الفاطمية لتوجيهه حملة على مصر بقيادة جوهر الصقلي وقد ساعدته أوضاع المشرق عامة وأوضاع مصر خاصة.

- يعد بروز شخصية جعفر بن فلاح الكتامي في ميدان القيادة أهم حدث في تاريخ الدولة خاصة بعد إظهاره لمهارات قيادية في الحملات.

- رغم الدور البارز والمهم لقبيلة كتامة إلا أنها لم تنج عن اضطهادات الفاطميين فقد تعرضت لمحنتين المتمثلتين في المحنة الأولى مع عبد الله المهدي والمحنة الثانية مع المعز لدين الله، غير أنهم لم يستغنوا عنهم وبقي ولاءهم للدولة متواصلا.

- ساهمت كتامة في تسيير الدولة والإشراف على شؤونها العسكرية ومع أن شهرتهم منذ القرن الذي تبنوا فيه الدعوة الإسماعلية قامت على أساس أنهم طبقة عسكرية فإن الذي يلاحظ بأن نشاطهم بعد هذه الفترة لم يقتصر على الميدان العسكري بل كان لهم إسهام معتبر في ميادين أخرى.

- في التعرف على دورهم السياسي والإداري لكتامة فبرزت شخصية عسلوج بن الحسن الدنهاجي، وفي نظام حكم الولايات تعرفنا على الحسن بن عمار وشخصيته.

- لم يتوقف دور كتامة ومساهمتهم عند هذا الحد بل تعداه ليشمل الجوانب الثقافية والإجتماعية فقد برزت شخصية توبة بن ميسرة الكتامي الذي تزعم مدرسة فنية راقية من بينها رسامون ومزوقون وبرز تأثيرهم العلمي في فقهاء وشعراء كابن دواس وجعفر بن فلاح.

- يوحي تاريخ كتامة وتجربتها الفريدة الرائدة في ظل الخلافة الفاطمية لتحقيق هدف الوصول للخلافة العباسية في المشرق من خلال عبورهم إلى مصر والشام.

- بعد التطرق لدور كتامة في مصر فقد لوحظ بأنها كانت ذات مساهمة شبه فعالة إلا أن ذلك المنى في الوصول إلى تأثيرات أخرى لم يتحقق إلا بعد تفردهم بالشام لإتمام دور جيل الأحفاد وهذا موضوع بحد ذاته يستحق دراسة أكاديمية.

قائمة الملاحق

ملحق رقم (01): خريطة أهم قبائل البرانس[1]

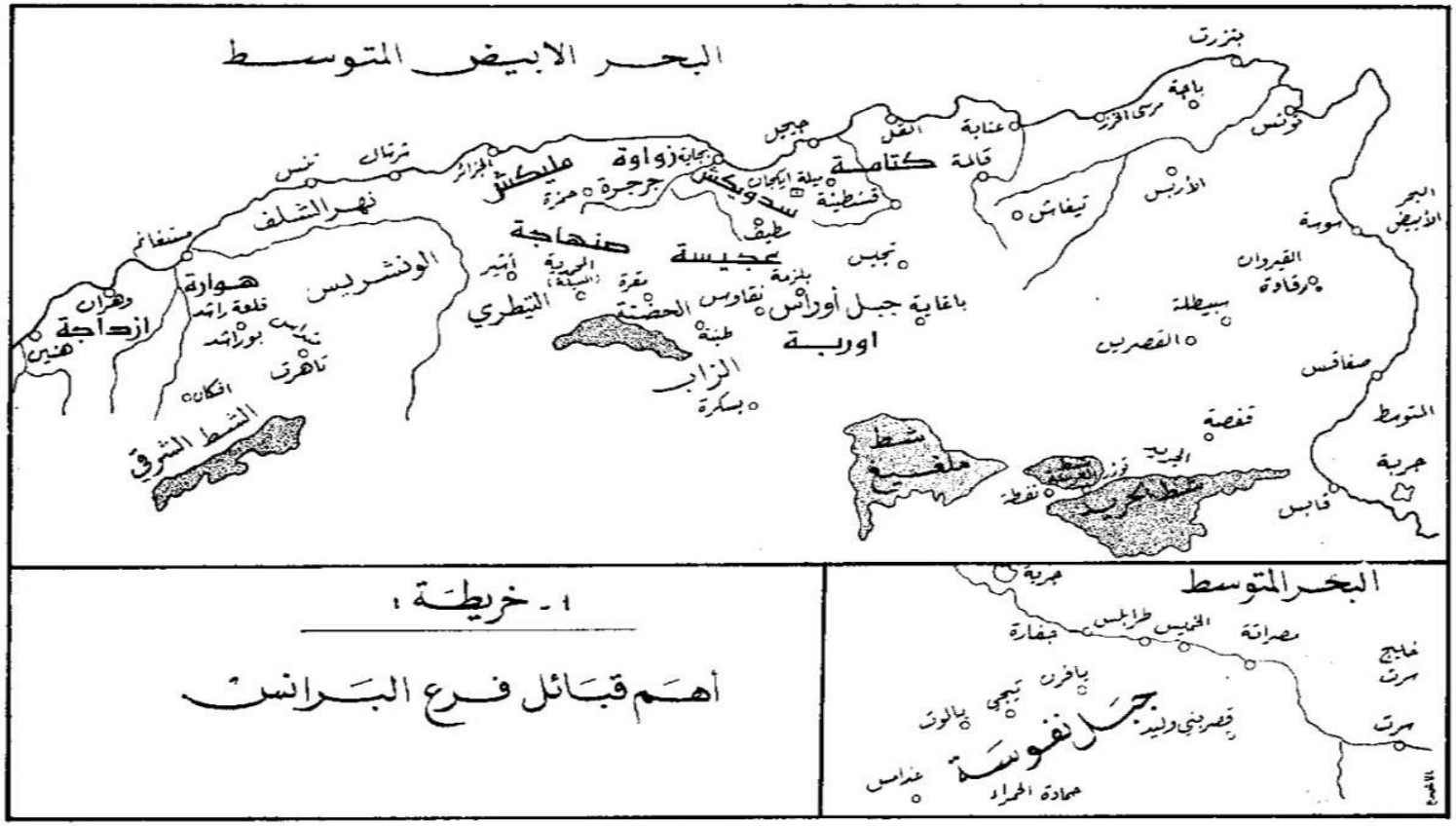

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين، ج1،ص527.

ملحق رقم(02): نص خطبة المنصور لإعلان وفاة ابيه[1]

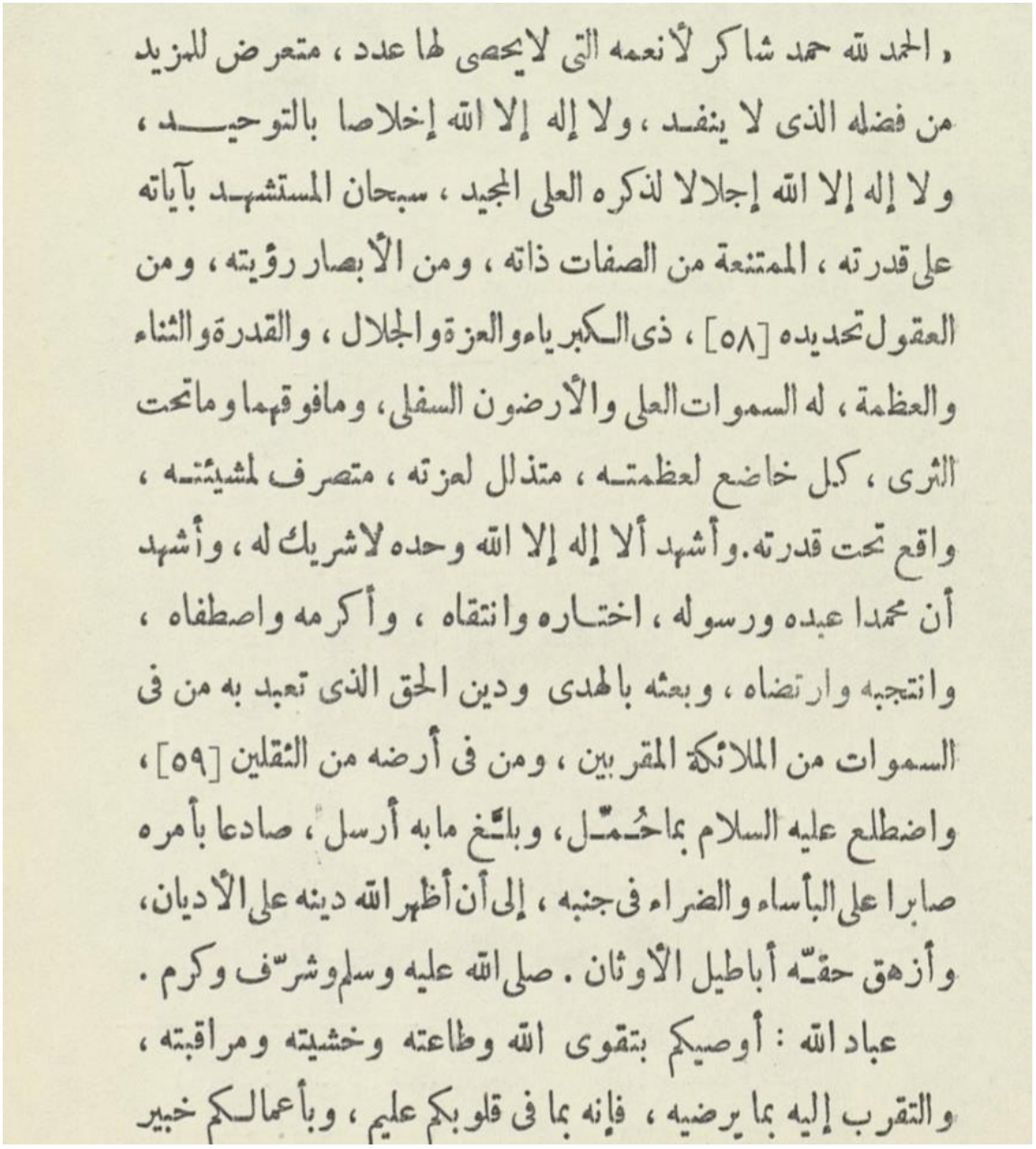

الحمد لله حمد شاكر لأنعمه التى لايحصى لها عدد ، متعرض للمزيد من فضله الذى لا ينفد ، ولا إله إلا الله إخلاصا بالتوحيد ، ولا إله إلا الله إجلالا لذكره العلى المجيد ، سبحان المستشهد بآياته على قدرته ، الممتنعة من الصفات ذاته ، ومن الأبصار رؤيته ، ومن العقول تحديده [٥٨] ، ذى الكبرياء والعزة والجلال ، والقدرة والثناء والعظمة ، له السموات العلى والأرضون السفلى ، ومافوقهما وماتحت الثرى ، كل خاضع لعظمته ، متذلل لعزته ، متصرف لمشيئته ، واقع تحت قدرته. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اختاره وانتقاه ، وأكرمه واصطفاه ، وانتجبه وارتضاه ، وبعثه بالهدى ودين الحق الذى تعبد به من فى السموات من الملائكة المقربين ، ومن فى أرضه من الثقلين [٥٩] ، واضطلع عليه السلام بما حُمِّل ، وبلّغ مابه أرسل ، صادعا بأمره صابرا على البأساء والضراء فى جنبه ، إلى أن أظهر الله دينه على الأديان ، وأزهق حقّه أباطيل الأوثان . صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرم .

عباد الله : أوصيكم بتقوى الله وطاعته وخشيته ومراقبته ، والتقرب إليه بما يرضيه ، فإنه بما فى قلوبكم عليم ، وبأعمالكم خبير

[1] العزيز الجوذري، المصدر السابق،ص55.

تكملة نص الخطبة [1]

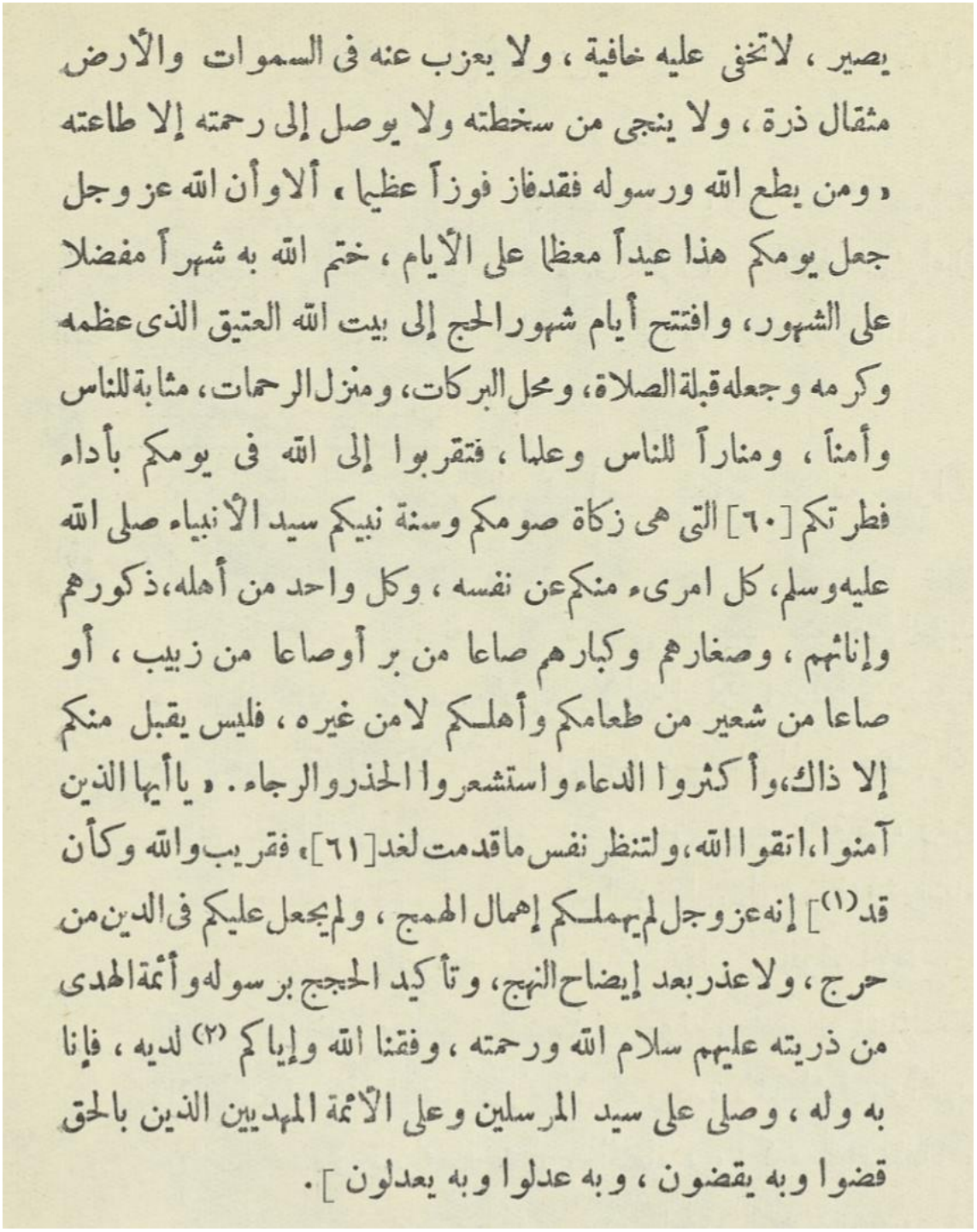

يصير ، لاتخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه فى السموات والأرض مثقال ذرة ، ولا ينجى من سخطته ولا يوصل إلى رحمته إلا طاعته « ومن يطع الله ورسوله فقدفاز فوزاً عظيما » ألاوأن الله عز وجل جعل يومكم هذا عيداً معظما على الأيام ، ختم الله به شهراً مفضلا على الشهور، وافتتح أيام شهور الحج إلى بيت الله العتيق الذى عظمه وكرمه وجعله قبلة الصلاة، ومحل البركات، ومنزل الرحمات، مثابة للناس وأمناً ، ومناراً للناس وعلما ، فتقربوا إلى الله فى يومكم بأداء فطرتكم [٦٠] التى هى زكاة صومكم وسنة نبيكم سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم، كل امرىء منكم عن نفسه ، وكل واحد من أهله، ذكورهم وإناثهم ، وصغارهم وكبارهم صاعا من بر أوصاعا من زبيب ، أو صاعا من شعير من طعامكم وأهلكم لامن غيره ، فليس يقبل منكم إلا ذاك، وأكثروا الدعاء واستشعروا الحذر والرجاء . « ياأيها الذين آمنوا، اتقوا الله، ولتنظر نفس ماقدمت لغد[٦١]» فقريب والله وكأن قد[(١)] إنه عز وجل لم يهملكم إهمال الهمج ، ولم يجعل عليكم فى الدين من حرج ، ولاعذر بعد إيضاح النهج، وتأكيد الحجج برسوله وأئمة الهدى من ذريته عليهم سلام الله ورحمته ، وفقنا الله وإياكم [(٢)] لديه ، فإنا به وله ، وصلى على سيد المرسلين وعلى الأئمة المهديين الذين بالحق قضوا وبه يقضون ، وبه عدلوا وبه يعدلون] .

[1] العزيز الجوذري، المصدر السابق، ص56.

ملحق رقم (03): نص خطبة توجيه المعز لدين الله لشباب كتامة [1]

« أما والله لو تعلمون ما لكم ولجميع أوليائنا عندنا من الرضى والمحبة لاستفزتكم المسرة وما نعرض عمن نعرضه منكم ، ونعاقب من نعاقبه ، الا تأديبا وتقويما ، لكي يزدادوا من الفضل والخير ، ولو علم آباؤكم ومن مضى من أسلافكم قبل أن تموتوا ما لحقهم فيكم من بعدهم لتمنوا الموت في أيام حياتهم لما تطيب به انفسهم لكم من بعدهم ، اذ كانوا في دون ما أنتم فيه في أيامنا ، وان كان الائمة لم يتركوا في الاحسان اليهم ، فلم يبلغوا معهم ما بلغتم انتم معنا ، ولكل زمان حال توجبها الحكمة ، وتجري فيها بالعقوبة والرحمة أنا والله ان قتلناكم فما نريد بكم الا الحياة الدائمة اذ أوجب تطهيركم بالقتل في العاجلة وان عاقبناكم بدون ذلك فما نعاقبكم حنقا عليكم ولا مقتا وبغضا لكم ، ولكنا نفعل ذلك بأيدينا تطهير لكم ، وان عفونا عنكم ، واحسنا اليكم ، فنحن أهل العفو والاحسان ، فانتم والله معنا في كل الاحوال وعلى جميع الأمور كيفما تصرفتم ، وجرى تدبيرنا فيكم على سبيل نجاة وخير وسلامة وغبطة ، فاعرفوا حقنا وفضلنا وسلموا لحكمنا وامرنا ، ولا ترتابوا فينا ولا تشكوا فيما نأتيه ونذره من امركم كيفما جرت الاحوال بكم معنا تسلم صدوركم وتظفروا بحظكم في دنياكم وآخرتكم .. فشكروا له بما قدروا عليه ، وقبلوا الارض بين يديه وقالوا : نحن يا امير المؤمنين عبيدك وصنائعك والمعترفون بفضلك فما أصبناه بتفويمك وتأديبك وما اخطأنا فيه فنحن نرجو فيه رأفتك ورحمتك فقال (عم) يعصمكم الله من الخطأ بتأديبنا وتقويمنا ، اذ لا نرى لأحد منكم زلة الا نبهناه ، ولا غفلة الا أيقظناه ولا تخلفا الا حركناه ، ولا تقصيرا الا وعظناه فليس يهلك مع هذا الا الشقي الذي غلبت عليه شقوته ، والله يعيذكم من الشقوة بولايتنا وجميل رأينا فيكم ان شاء الله تعالى » .

[1] النعمان، المجالس، ج2، ص584.

ملحق رقم(04): نص خطبة المعز لدين الله وكتامة في مجلس الختان[1]

بعد ان انتهت أيام الختان ، استقبل المعز لدين الله جماعة من كتامة وخاطبهم بقوله : « والله ما فوق محلكم عندي محل ، وما أحد من ولدي بأحب منكم ، الا من جعل الله الخبيئة فيه منهم ، وان ذلك مما يوجبه ما جرى لكم معنا من صحبة الاجداد للاجداد ، وصحبة الآباء الآباء ، والابناء للابناء ، وانتم خاصتنا وبطانتنا وأحب الخلق الينا لو اعنتمونا بسمع وطاعة ، وامتثال امر ، وان كنا لا نشك فى حسن اعتقادكم لولايتنا وصفو نياتكم لنا ، ولكن الدنيا ربما استمالت كثيرا منكم بحطامها والحمية والهوى ربما مال بكثير منكم عن أمرنا ، لاسيما ما يعتري بعضكم لبعض من الحسد والمنافسة حتى تصبروا فى مواضعكم الى الحروب والقتل وهتك الحريم ، وذلك وان يشفي به بعضكم من بعض فانه مما يغمنا وينكينا فيكم وكان الواجب عليكم ان تدعوا ما تحبونه من شفاء غيظكم وبلوغ شهواتكم لما نحبه من حقن دمائكم وصلاح اموركم ، وبقـــاء نعمة الله عليكم ثم ما تصنعونه من انفسكم لمن لم يجعل عليكم حكما ، ومن انتم افضل منه ممن يدعي انه يستعطفنا عليكم ويستدر احساننا اليكم ، ويتقرب بذلك اليكم ، ويمن به عليكم ، ويستطيل . والواجب عليكم وعلى جميع من انتم بنا ، وعرف فضلنا ان يكون نظره واعتماده على امرنا فمن قدمناه عليه ، وامرنا باتباعه وطاعته ، وضع له خده تسليما لأمرنا وطاعة لنا ، ومن لم نرفعه ، ولم نقدمه عليه ، لم يلتفت اليه ، ولم يوجب له ما لم نوجبه ، ولم يتخذ دوننا ولائح ، فوالله ما احوجناكم الى أحد ، ولا يعلق منكم أحد علي بأني أحوجته الى أحد غيري ، ويرى أنه ينفعه ، أو يضره عندي ، حتى يتحمل له ما كان يتحمله كثير منكم لمن غضب الله عليه ولعنه (يعني اللعين قيصر) ، فيروح ويغدو اليه قبل الغدو والرواح الينا ، فكان ذلك هو الفرض عليه ، ونحن النافلة عنده ، وما وصل اليه من فضلنا راى انه انما وصل اليه بدوننا ، عسى أن يعطيه دوننا خيانة وسحتا يملكه به ،ويعظم له صدره ويتسع فضلنا عليه ، والله لدرهم نعطيه احدكم فيأخذه منا بشكر لأعظم فضلا وبركة وأزكى عند الله من الدنيا بما فيها ، من غير وجهها مع ما فى ذلك من سرور الانفس وكرم الاخلاق ، وقد اتصل بنا بعض مشائخنا المستجيبين لدعاتنا انه كان يجرى عليه من قبل داعيه فضل يصل اليه منه ، وان بعضهم لقيه يوما فذكر له انه عرض بذكره عند ذلك الداعي، فأمر له بشيء كان يجريه عليه فقال : وقد بلغت مبلغا لا اذكر فيه ، حتى تذكرني أنت ، لا ابقاني الله الى يوم اكون منسيا فيه عندي ، ارجوه الى ان يذكرني غيري ، فهكذا اريد ان تكون انفسكم وهممكم بقدر مكانكم مني ومحلكم لدي ، اني احب ان اباهي واكاثر بكم فى الدنيا والآخرة ...

وما أحب ان يأتي امثالي لقوم صالحين وآتي انا لقوم لا خير فيهم » .. فسكت القوم ورأيت (النعمان) ان ذلك قد خفض منهم ، فقلت قد وعظ امير المؤمنين عبيده وابلغ فى الموعظة ونبههم وتفضل عليهم ... فقال : انهم لو لم يكونوا عندي بمحل من نحب صلاحه ونشتهي رشده لم اقل لهم مثلما قلت ، ولولا ما أخشاه عليهم لمعرفتهم مكانهم عندي وكيف محلهم من قلبي ، ولو اشاء لعاقبت المذنب عقوبة مثله ، ولقتلت من نحن فى صلاح الدولة قتله ، وابقيت من ينتفع فيها به ، ولكني حملت الامر على ما اوجبه الزمان لي ، وجرت به عادة الله الجميلة عندي ... ولقد سبق من آبائكم من الآباء ، واجدادكم مع الاجداد ، من يقول للناس : انهم بسبقكم افضل منكم ، ما اقول انا الا انكم افضل ممن تقدمكم بما فضلكم الله به فى ايامي ، ورحمتي وحياتي ، وان كان من تقدم من الآباء لم ينالوا احسانا وفضلا ، لمن كان فى عصرهم ، وان كان ما كان منهم اليهم من التأدب لما فيه صلاح جميعهم ، فلكل زمان رجال ...

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص94.

ملحق رقم (05):تعبير المعز لدين الله عن إخلاص كتامة وشيوخها[1]

« والله ما يتخالجني الشك فى اعتقاد صغيركم وكبيركم وحرمكم وعبدكم وذكركم وأنثاكم ولا يتناول اجتماع قلوبكم على محبتنا على ذلك ، نشأ صغيركم وعليه كبيركم قال أحدهم والله لو قد يسمع مولانا ما يلفظ به نساؤنا وعبيدنا وصبياننا من القول بولايته والمحبة له ونشر فضله لعلم أنهم على ما ذكره فيهم ، فقال المعز :

منا الحظ الأوفر فى المحبة لهم ، والاشفاق عليهم ، والمودة لصغيرهم وكبيرهم وما لم يكن لهم مثله من أحد من أبائنا مع ما وهب الله لهم فى أيامنا من المعز والأمن والسعة والسلطان وعلو الكلمة ما لو ادركه من مضى من اسلافهم ، ثم امرناهم أن يلجوا النار بين أيدينا لولجوها ، فرد أحدهم : « انا لنقول ذلك ، ونتمنى لمن مات من آبائنا واخواننا أن لو مد فى أعمارهم حتى يكونوا بلغوا هذه الأيام واروا هذه النعم وشملهم هذا الفضل ، لقد كان مما يزيد فى بصائرهم وتعظم به نعم الله عليهم على أنا لا نرى بمن بقى منهم تقصيرا فى الولاية والطاعة .. نرد المعز : « لا والحمد لله ما بهم فى ذلك تقصير ، وانهم فى الثبات لعلى أفضل حال ممن مضى من سلفهم ولكنهم ربما ارادوا رضانا بالشيء فأخطؤه وربما تعلقوا بمن دوننا ليجعلوا ذلك وسيلة الينا ، لا والله ما جعلنا لأحد عليهم فى ذلك من سبيل ، ومن مثل هذا دخل ما دخل على من مضى من أسلافهم .

[1]– موسى لقبال، دور كتامة، ص631.

ملحق رقم (06):ثناء المعز لدين الله على كتامة لميزات خاصة بهم [1]

« هؤلاء أولياؤنا وخالصتنا ، هؤلاء حزبنا وزمرتنا ، هؤلاء أتباعنا وعمدتنا هؤلاء خاصتنا وأهل مودتنا ، هؤلاء الذين يكونون فى الجنة معنا ، كما كانوا معنا فى الدنيا ، ما أسرني بهم ، وأبهجني برؤيتهم ، وأحسن فى عيني منظرهم، اني لأرى جماعتهم ، وكأنهم عندي صورة واحدة قد تساووا فى الجمال الهيبة والبهجة حتى اذا خالطوا الناس من غيرهم ، فالواحد منهم متى رأيته بين الجماعة من غيرهم كان عندي كالعلم السني ، والسراج المضيء ، أما اني لأقول فى نفس كثيرا ، اذا رأيت ذلك منهم أن ذلك لفرط محبتي لهم ، فلذلك أراهم كذلك ، فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا : « يقول مولانا ما يقوله بفضله علينا ، فأما نحن فى موالاتنا اياه ، ومحبتنا له فلانفسنا سعينا ، ورضى ربنا بذلك أردنا ، وما ذلك منا بالتكلف ، ولا بشيء نكره أنفسنا عليه ولا نرى عليه مشقة ، ولا كلفة فيه ، وما ذلك فينا دون بنينا وخدمنا وعبيدنا ، والله ما يحلف أطفالنا وخدمنا الا بحق مولانا وفضله ، ولا على ألسنتهم ولا لهم غيره ، ولا يعرفون لهم مولى سواه وما نشأ منا ومنهم من نشأ الا على ذلك وعليه يموت ان شاء الله والله لقد حاز العدو أيام الفتنة من حاز ، وأمن النساء والأطفال ، ولقد كانت وصاياهم وكتبهم تأتينا يأمروننا بالصبر مع ولي الله ، وان لا نعطي لمكانهم الدنية لأعداء الله ، فصبروا على السراء والضراء ، والسبي والأسر حتى أظهرنا الله تعالى بوليه واستنقذناهم قسرا بحول الله وقوته » .

[1] النعمان، المجالس ، ج1، ص150

ملحق رقم (07): أهم الأسر الكتامية في مصر [1]

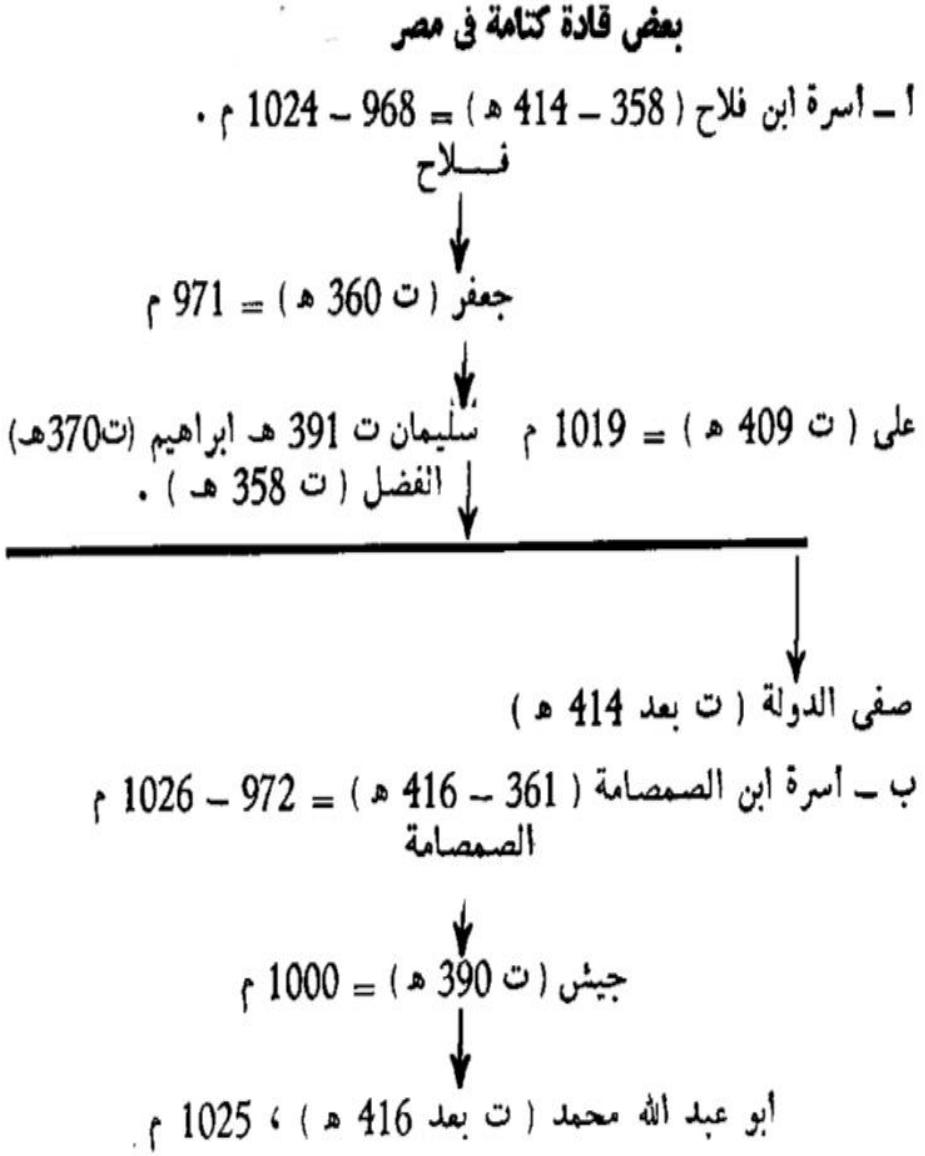

[1] موسى لقبال، دور كتامة، ص 615.

ملحق رقم (08):جامع القرافة[1]

[1] حسن إبراهيم حسن، الفاطميون، ص245.

ملحق رقم (09):تأسيس القاهرة[1]

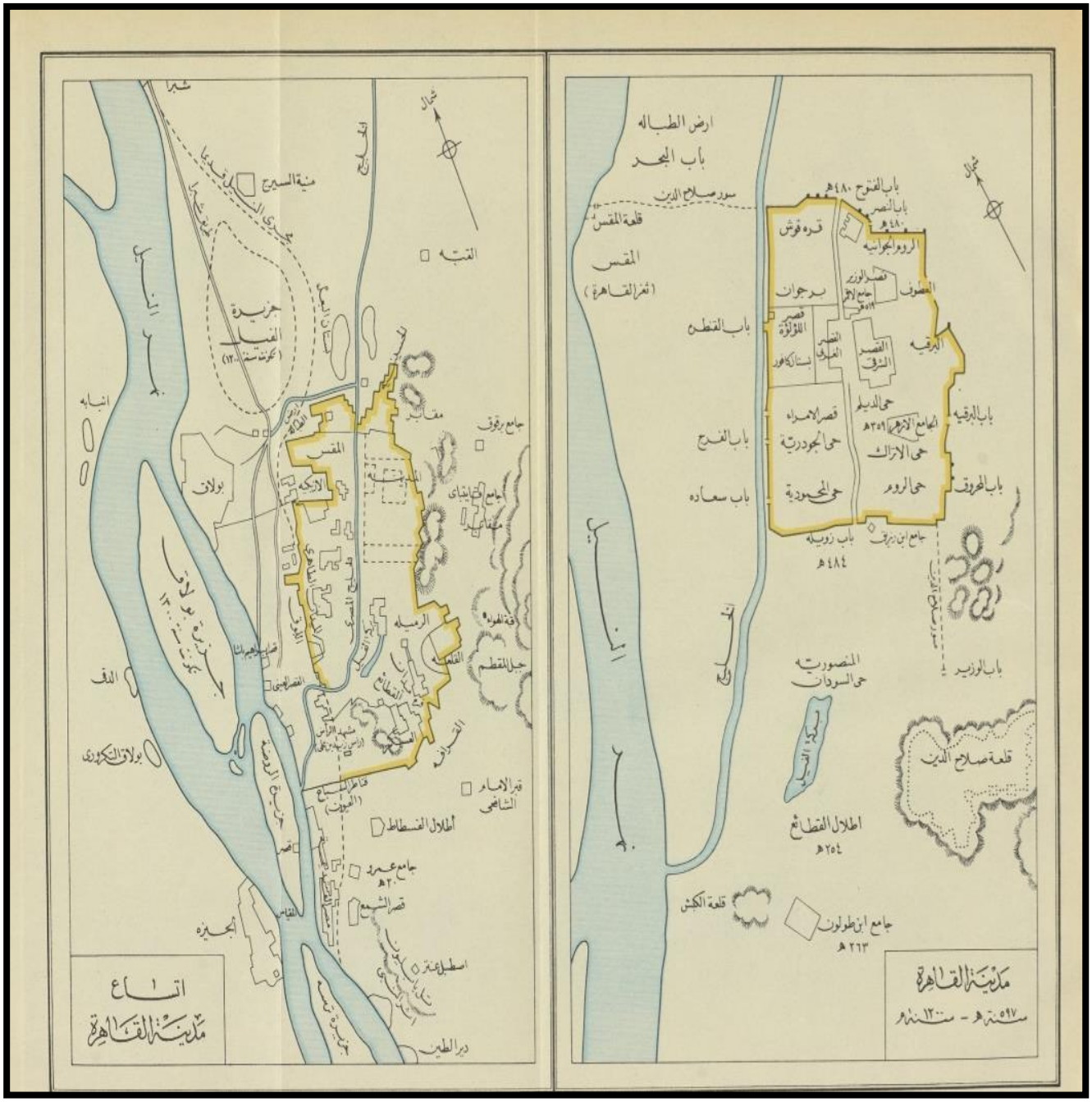

[1] حسن إبراهيم حسن، الفاطميون، ص112.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

1-المصادر :

1- ابن الأبار محمد ، الحلة السيراء، تح : حسين مؤنس، القاهرة، 1963م، د.ط.
2- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة لدى الوزارتين، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ط1.
3- ابن العديم كمال الدين، زبدة حلب من تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، دمشق، 1998 م، ط1.
4- ابن الفرضي يوسف، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1989م، ط2، ج2.
5- ابن القلانسي حمزة، ذيل تاريخ دمشق: تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1983م، ط1.
6- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1977م، د.ط.
7- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، دار يعرب، دمشق، 2004م، ط1، ج1، ج2.
8- ـــــــــــــ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، 2001م، د.ط، ج4، ج6.
9- ابن خلكان شمس الدين ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، د.ط،ج1، ج4، ج5.
10- ابن دقماق ابراهيم، الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، نش:فولرز كارل، دار الأميرية الكبرى، القاهرة، 1894م،ط1،ج5.

11- ابن ظهيرة جمال الدين، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تح: مصطفى السقا، كامل المهندس، دار أهل الأثر، 1969م، د.ط.

12- ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح: صلاح المنجد، دمشق، 1954م، ط2.

13- ابن مسكويه أبو علي، تجارب الأمم، القاهرة، 1919م، ط1، ج2.

14- ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب،دار المعارف، بيروت، 1996م، د.ط.

15- ابن ميسر محمد، أخبار مصر، تح: هنري ماسيه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1919م، د.ط، ج2.

16- أبو المحاسن جمال الدين، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، دار الكتب، بيروت،1933م، د.ط، ج7.

17- ـــــــــــــــ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، د.ت، د.ط، ج 2، ج3، ج4.

18- إدريس عماد الدين، عيون الأخبار وفنون الآثار السبعة، تح:مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت،د.ت، د.ط، ج6.

19- الإدريسي الشريف ، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ، ط1، ج1.

20- ـــــــــــــــ، وصف افريقية الشمالية والصحراوية، نش: هنري بيربس، الجزائر، 1957م.

21- الإصطخري إبراهيم، المسالك والمماليك، نش: محمد جابر العالي الحيني، القاهرة، 1961م، د.ط.

22- الأنطاكي يحي بن سعيد، ذيل تاريخ سعيد بن البطريق، نش: كراتشوفسكي، د.ت، د. ط.

23- البروني أبو ريحان محمد بن احمد، الأثار الباقية عن القرون الخالية، لبيبنرك، 1887، د ط.

24- البغدادي الخطيب، تاريخ بغداد مدينة السلام، لبنان ،ط1 ،ج1 .

25- البغدادي عبد القاهر: الفرق بين الفرق، تح: محمد الحسن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت، د. ط.

26- البكري أبو عبد الله ، المسالك والممالك، الجزائر،1911م، ط1.

27- ـــــــــــــ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

28- الجزري ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965م، د.ط، ج8،ج9.

29- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، 1906م، ط1، ج1،ج2،ج3،ج4،ج5،ج6.

30- الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تر:حسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، د.ط.

31- خسروا ناصر، رحلة ناصر خسروا في مصر، تر: يحي الخشاب، مكتبة جامعة القاهرة، القاهرة، 1945م، د.ط.

32- الدواداري ابن أبيك، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، نش: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961م، د.ط.

33- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ط11، ج16.

34- الزركلي خير الدين، سير أعلام النبلاء، ج15، ج17.

35- السمعاني عبد الكريم، الأنساب، نش: مرجوليت، دار الفكر، بغداد، 1912م، د.ط.

36- السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، القاهرة، 1986م، ط1.

37- ـــــــــــــ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1،ج2.

38- الشماخي أحمد بن سعيد أبي عثمان بن العبد الواحد بدر الدين، السير، دار البارونية، مصر، 1522م، د.ط.

39- الصيرفي ابن منجب، الإشارة الى من نال الوزارة، القاهرة، 1924م، د.ط، ج1.

40- الطبري إبن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار القاموس، 1326هـ، ط1، ج1.
41- العزيز الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، تح: محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر، القاهرة، 1954م، د.ط.
42- العسقلاني ابن حجر، رفع الأصر عن قضاة مصر، ج2، القاهرة، 1963م.
43- القاضي النعمان أبو حنيفة، إفتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، تونس، د.ت، د.ط.
44- ـــــــــــ، المجالس والمسايرات،مكتبة جامعة القاهرة، مصر، د.ت، د.ط، ج1.
45- ـــــــــــ، الهمة في إتباع أداب الأئمة، تح: كامل حسين، القاهرة، د.ت، د.ط.
46- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد باكير محمود، بيروت، 1967م، د.ط، ج4.
47- القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، د.ت، ط1، ج3.
48- ـــــــــــ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: علي الخاقاني، دار البيان، بغداد، 1958م، د.ط.
49- القيرواني ابن رشيق، أنموذج زمان في شعراء القيروان، تح: محمد العروسي المطوي، الدار التونسية للنشر، تونس 1986م، د.ط.
50- القيرواني أبي القاسم، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس، ط1.
51- الكندي محمد ، ولاة مصر، تح: حسين نصار، دار صادر، بيروت، 1959م، د. ط.
52- المراكشي إبن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، مكتبة صادر، بيروت، 1950م، د.ط، ج1.
53- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العرباوي، المجلس للشؤون الإسلامية، المملكة العربية المتحدة، د.ت، د.ط.

54- المغربي ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، تح: زكي محمد حسن حسن واخرون، القاهرة، 1953م، د.ط.

55- المقدسي شمس الدين، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مديولي، مصر، 1991م، د.ط.

56- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزاوي محفوظ، 1988م، ط1، ج1.

57- المقريزي تقي الدين ، إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996م، د.ط،ج1،ج2.

58- ـــــــــــــ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: محمد مصطفى زيادة و جمال الدين الشيال، القاهرة، 1958م، د.ط.

59- ـــــــــــــ،المواعظ والإعتبار يذكر الخطوط والآثار، نش: مسيو جاستون فيت ، بولاق، القاهرة، 1911م، ط1، ج1، ج2،ج3.

60- مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار،تح: عبد الحميد سعد زغلول، جامعة الإسكندرية، بغداد، 1958م، د.ط، ج1، ج6.

61- مؤلف مجهول، بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، د.ت، د.ط، ج1.

62- مؤلف مجهول، شرح لمعة من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكره إلى مصر، مكتبة جامعة القاهرة، القاهرة، د.ت، د.ط.

63- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م، ط.

64- النصيبي أبي القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1996م، د.ط، ص 88.

65- النويري شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، د.ت، د.ط.

66- يحي بن سعيد الأنطاكي، صلة تاريخ أوتيخا، تح: عمر عبد السلام، تدمري، 1990.

2-المراجع :

أ-الكتب العربية:

67- احمد محمد ، العلاقات بين الشام ومصر في العهد الطولوني والاخشيدي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س، د.ط.

68- حسن إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ،دار الفكر المصرية ،القاهرة ،د.ت، د.ط.

69- ـــــــــــ ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ، دار الكتب ،القاهرة ،1964م ،ج2.

70- ـــــــــــ، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، تر: محمد احمد حسونة الهندي، وزكي محمد المهندس أفندي، القاهرة، 1932 م، ط1.

71- حسن زكي محمد ، كنوز الفاطميين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938 م، د.ط.

72- حسن علي إبراهيم ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله، القاهرة، 1963م، ط2.

73- حسن محمد حسن، تاريخ المماليك، دار الكتب المصرية، لبنان، 1988م، د.ط.

74- الدراجي بوزياني ، القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها وأعيانها، دار الكتاب العربي، 2007م، د.ط، ج2.

75- الدشراوي فرحات ، الخلافة الفاطمية في المغرب، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ط1.

76- الدوري عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والمالي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2006م، ط1.

77- سرور جمال الدين ، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

78- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيين إلى قيام المرابطين، ج3، منشاة المعارف، القاهرة، 1990.

79- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ط2، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ت.

80- ضيف شوقي ، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، د.ت، د.ط.

ط1.

81- طقوش محمد سهيل ، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، 1997م، ط1.

82- ـــــــــــ ، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية مصر والشام، دار النفاس، 2008م، ط2.

83- عدوان أحمد محمد ، موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي، دار الكتب للنشر والتوزيع،1999م، د.ط.

84- العربي إسماعيل ، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

85- عنان محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، دار الرفاع، الرياض، 1983م، ط3.

86- فوزي عمر ،دراسات في التاريخ الاسلامي ،الاردن ،2006 ،ط1 .

87- القوصي عطية، تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة،1993م،د.ط.

88- لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979م، د.ط.

89- ـــــــــــ ، ملحمة أبو الفضل جعفر بن فلاح بن ابي مرزوق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م د.ط.

90- ماجد عبد المنعم ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1953م، د ط، ج1.

91- محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن4 هـ، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1985.

92- محمود خلف، ثورات المصريين في العصر الفاطمي 969م، د.ت، د.ط، مصر.

93- منياوي محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة،1970م.

94- مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، السعودية، 2004، ط2.

ت-الدوريات والحوليات :

95- أبو كروق الناصر عبد الله ، العصر العباسي الثاني بين المحاسن والمساوئ وعظات التاريخ ، مجلة الآداب ،جامعة افريقيا العالمية، كلية الآداب، قسم التاريخ، العدد3.

96- كريزول الكابتن، تأسيس القاهرة ، ج2، مجلد 01 ، كلية الآداب .

ج- الرسائل والمذكرات الجامعية :

97- رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين الى مصر(80هـ-699هـ)/(362م-933م)، دراسة إجتماعية، إشراف بوبة مجاني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة.

د- المراجع الأجنبية:

98- Fishel ،origin of Bank King ،J.R.A.S ،1933،7.

99- Gautier ،le passé de l'afrique du nord ،les siécles obscurs ،paris ، payot ،1942.

100- Gautoi ،: les vendales et l'afrique ،paris ،1955.

101- ostrogosky ،history of the byzantine state ،trans ،by joha n husy،1968.

102- wiet: histoire de la natation egyptienne ،t.

فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

اهداء

مقدمة: .....أ

مدخل: نبذة تاريخية عن قبيلة كتامة

الفصل الأول: الدور العسكري لكتامة في انتقال الحكم الفاطمي إلى مصر

المبحث الأول: ارهاصات الانتقال (الأوضاع، الدوافع، التجهيزات) 32

المبحث الثاني: شخصية جعفر ابن فلاح (النسب، النشأة، الدور)..... 45

الفصل الثاني : الدور السياسي والإداري لكتامة في مصر على العهد الفاطمي

المبحث الأول: في نظام الحسبة والإدارة المالية: 51

المبحث الثاني: في نظام الوزارة 56

المبحث الثالث: ولاية حكم الأقاليم 62

الفصل الثالث : المساهمة العلمية والحضارية لكتامة الفاطمية في مصر

المبحث الأول : التأثير العلمي والفني لكتامة في مصر: 73

المبحث الثاني : المساهمة العمرانية للكتاميين في مصر 81

خاتمة: 89

قائمة الملاحق 91

قائمة المصادر و المراجع 102

فهرس المحتويات: 112

ملخص الدراسة:

لعبت كتامة دورا مهما في تأسيس الدولة الفاطمية وهذا من خلال استغلالهم للوضع الذي كانت تمر به القبيلة وهذا اهم عامل أدى بالفاطميين إلى اختيار كتامة دون القبائل الاخرى وعلى اكتافها قامت دولة الفواطم، وبفضل سواعد ابنائها اتسعت وامتدت شرقا وغربا، كما لا ننسى المجهودات التي قام بها جعفر بن فلاح في الجانب العسكري حيث أصبحت قبيلة كتامة تمثل العمود الفقري في الجيش كما اسند العبيديين المهم العليا في الدولة إلى انصارهم من كتامة وتحقيق اهدافهم في بلاد المغرب، واتجهوا إلى المشرق ونقل الخلافة إلى مصر وتنويع العلاقات والتوسع مما ساهم في ازدهار الحركة العلمية والحضارية للكتاميين في مصر.

Summary of the study:

Kutama have played an important role in the establishment of the state Fatimid and this through their exploitation of the situation that crossed the tribe and this is the most important factor that led the Fatimids to choose kutama without other tribes and on his shoulders the state of kutama, thanks to the help of his enlarged and extended sons to the east and West, also the transfer of the caliphate in Egypt and the diversification of relations and expansion contributed to the flourishing of the scientific and civilizational movement of the katamis in Egypt.